



المفكرة القانونية
THE LEGAL AGENDA

مُنْتَدَى الْأَقْصَادِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ

الأوراق الخلفية

ملف عكّار

القرى الحدوديّة وشبكات التهريب بين لبنان وسوريا والخارج

ملاك التركاوي وسمير العيطة



■ ■ ■ HEINRICH
BÖLL
STIFTUNG
EAST & HORN
OF AFRICA

مُنْتَدَى الْأَقْصَايَيْنِ الْحَرْبِيَّ
مِفْ الصَّفْكَرَة الْقَانُونِيَّة

إعداد: ملاك التركاوي وسمير العيطة.

تاريخ الإعداد: آذار 2024.

تاريخ النشر: تشرين الأول/أكتوبر 2026.

ورقة خلفية أُعدت في إطار دراسة «عُكَّار وجوارها: المجتمع والأرض» التي أجراها منتدى الاقتصاديين العرب بالتعاون مع المفكرة القانونية.

تم إنتاج هذا العمل بدعم مالي من مؤسسة هاينرش بول - مكتب الشرق الأوسط. الآراء الواردة هنا تعبر عن آراء المؤلفين وبالتالي لا تعكس بالضرورة وجهة نظر المؤسسة.

© حقوق الملكية 2026 مشتركة لمنتدى الاقتصاديين العرب والمفكرة القانونية.

يُسمح بنسخ أي جزء منها أو تخزينه أو تداوله، على أن يتم ذلك لغايات غير تجارية ومن دون أي تحويل أو تشويه، وعلى أن يُذكر بشكل واضح وجلي، في كل مرة، المصدر واسم المنتدى الاقتصاديين العرب والمفكرة القانونية.

الأوراق الخلفيّة

ملف عكار

القرى الحدوديّة وشبكات التهريب بين لبنان وسوريا والخارج

ملاك التركاوي وسمير العيطة

1. مقدمة

المفروضة على استيراد بعض السلع وارتفعت بالتالي أسعارها، كلما ازداد التهريب لتجنب دفع الرسوم والاستفادة من هامش ربح فرق الأسعار¹.

2. خلفية نظرية اقتصادية

تحلّل دراسة تعود لسنة 2008 أجراها ريموند فيسمان وإدوارد ميغيل الروابط بين معدلات التعرفة الجمركية وانتشار التهريب². ينطلق هذا التحليل من دراسة على التناقض المتواجد أحياناً بين الكميات التي يتم التصريح عنها على أنها صادرات من الدولة "أ" إلى الدولة "ب"، والكميات التي تصرّح عنها الدولة "ب" أنها استوردتها من الدولة "أ". حيث قام المؤلفان بتحليل الفروقات بين القيم المسجلة للصادرات من هونج كونج إلى الصين والقيم المسجلة للواردات إلى الصين من هونج كونج. في غياب أي تهريب، ينبغي أن تكون هذه القيم تقريباً متطابقة، لكنها نادراً ما تكون كذلك في حال وجود مجالات كبيرة للتهريب والتهزّب. هذا عدا ما لا يرصده أيّ من البلدين المعنيين في إحصاءاته الرسمية.

ويبدو هذا جلياً في الشكل البياني أدناه الذي يقارن بين تصريحات كلاً من لبنان وسوريا عن الواردات والصادرات. حيث تصل "فجوة التهريب" بين حركة تصدير لبنان لسوريا واستيراد سوريا من لبنان في سنة 2014 إلى أكثر من 460 مليون دولار، أي فارق يوازي ضعف ما صرح لبنان في تلك السنة أنه يصدره لسوريا. يسمّي المؤلفان المذكوران الفارق أعلاه "ثغرة أو فجوة التهريب" (Smuggling Gap)، رصد أحد طرفي التبادل رسمياً حجمها. كما أن الدراسة أعلاه تبين أن "فجوة التهريب" بالنسبة للسلع ذات التعرفة الجمركية المرتفعة أعلى بكثير منها بالنسبة للسلع ذات التعرفة الجمركية المنخفضة. وقد وجد المؤلفان أنه "مقابل كل زيادة بمقدار نقطة مئوية واحدة في معدل التعرفة الجمركية لسلعة محددة، ترتفع "فجوة التهريب" لهذه السلعة بمقدار 3 نقاط مئوية". وللأسف لا تتوفر، فيما يخص سوريا ولبنان، المعطيات الرسمية التفصيلية على مستوى السلع أو حتى أصنافها لتحليل تفصيلي لهذه الفجوة.

تتفاوت الآراء في عكار عما يُسمّى "التهريب" بما في ذلك التجارة غير الرسمية عبر الحدود أو مساعدة الأشخاص لعبور تلك الحدود بدون تسجيل حركة دخولهم وخروجهم من قبل الدولتين اللبنانية والسورية. ففي بعض المقابلات تمّ لحظ تقبّل تامّ لهذا الأمر، حيث كانت الإجابات وإفية عن موضوع التهريب، سواء أتت هذه الإجابات من أشخاص يسكنون مناطق حدودية، مثل وادي خالد، أو البلدات التي يمرّ عبرها التهريب، مثل العبدّة. لكن في بعض البلدات الأخرى، مثل القبيات، هناك رفض للإجابة عن أيّ سؤال حول التهريب أو تجاهل للأمر وكأنّه غير موجود. بالمقابل، يعبر آخرون عن موقف محايد وأنه حتى وإن وجد التهريب في منطقة فإنهم لا يتخلّون. ويعكس هذا التفاوت في الآراء ليس فقط معرفة ومواقف أهالي البلدات العكارية حول التهريب، بل أحياناً أيضاً هامش الاستفادة المادية للمواطنين من عمليات التهريب.

بالنسبة لتهريب الأشخاص، تزايدت الحاجة لهذا النوع من التهريب خصوصاً منذ 2015 عندما علّقت المفوضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة تسجيل اللاجئين السوريين في لبنان بناءً على طلب الحكومة اللبنانية، حيث تمّ اعتماد شروط إقامة جديدة في كانون الثاني 2015، لم يستطع معظم اللاجئين استيفاءها متروكين أمام العبور غير النظامي للحدود والذي تطوّرت أشكاله وأسبابه في كلّ فترة حسب الأحداث في البلدين وتطلّعات المواطنين.

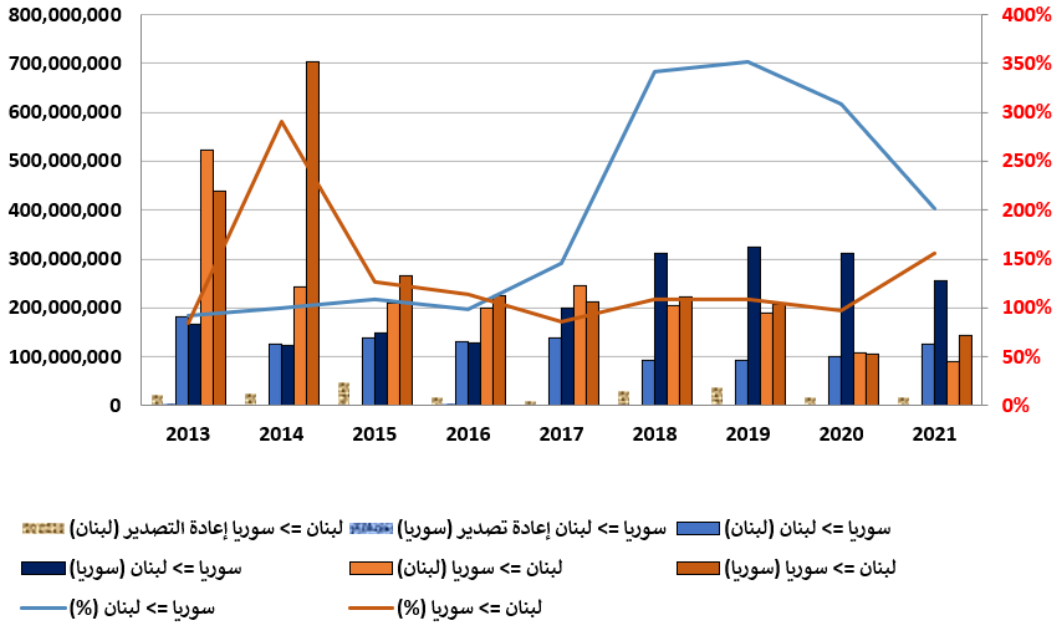
يقوم تهريب السلع في أبسط حالاته إما على نقل البضائع المحظورة (مثل الأسلحة أو المخدرات) للبيع في البلد الآخر أو على شراء سلع قانونية (مثل المحروقات أو السجائر) في السوق الأقلّ سعراً وتوصيلها إلى السوق التي تعاني من شحّ لهذه السلعة وبيعها في تلك السوق المقابلة. ما يترك للتاجر هامش ربح كبير. فعدا عن أنه ينقل بضائع أرخص سعراً فإنّه "يتهرب" في الوقت ذاته من تكلفة الضرائب والجمارك التي قد تُفرض عليه جراء التجارة الرسمية بهذه المواد.

وهذا ما ينسجم مع أدبيات علم الاقتصاد، التي تفيد أنه بشكل عام كلما ارتفع معدل التعرفة الجمركية أو زادت القيود

² Raymond Fisman and Edward Miguel, 2011.

¹ Royce Huston & Taylor Long, 2011.

مقارنة بين المستوردات و الصادرات حسب (المكتب المركزي للإحصاء) و (الجمارك اللبنانية)
بالدولار الأمريكي وتحليل الفروقات



الإشكالية الكبرى في هذه الإحصائيات هو تحوّل الاقتصاد اللبناني إلى اقتصاد نقدي (كاش) وتراجع العمل مع المصارف في لبنان وكذلك القيود على التعامل بالنقد الأجنبي في سوريا. لذا يمكن توقع أن قيمة التصاريحات الرسمية للتجارة بين البلدين أقلّ من الواقع، خاصة بعد أن فرضت سوريا قيوداً إضافية على ضرورة توثيق مصدر المواد المستوردة وإيقاف الاستيراد من تركيا.

3. الحدود والتهريب

بعد الحرب العالمية الأولى، خضعت البلدان العربية في المشرق لنظام الانتداب بحيث أصبحت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، والأردن والعراق وفلسطين تحت الانتداب الإنكليزي. ونشأت دولة مستقلة في الجزيرة العربية، وتابعت مصر سيرها المستقل منذ 1919 بالرغم من الهيمنة البريطانية. هكذا فقدت البلدان العربية وحدتها الاقتصادية التي كانت تعيشها في ظلّ الإمبراطورية العثمانية. حيث أدت التقسيمات السياسية تدريجياً إلى إقامة الحواجز الاقتصادية والجمركية. وزالت حرية انتقال البضائع والأفراد وحرية انتقال الأموال. وأصبح لكل دولة تدريجياً نقدها الخاص بها. إلا أن انقطاع هذه الوحدة الاقتصادية لم يتجسّد تماماً، وظلّت ولو

توضح مقارنة البيانات بين سوريا ولبنان أن هناك "فجوة تهريب" رسمية بين البلدين. حيث يتماثل توثيق الصادرات من سوريا إلى لبنان في إحصاءات البلدين بين 2013 و2016. إلا أن فروقات كثيرة تبدأ بالظهور انطلاقاً من 2017، كي يضحى ما تحصيه سوريا كصادرات أكثر من ضعف ما يحصيه لبنان كواردات. هذا في حين يظهر ارتفاع ملحوظ في قيمة الصادرات السورية إلى لبنان مقارنة مع الفترات السابقة. ويمكن ربط هذا الارتفاع من الجانب السوري إلى حاجة التجار السوريين إلى التصريح عن صادراتهم كي يتم توثيق إيراداتها من العملة الصعبة رسمياً في ظل القيود المفروضة على العملة الصعبة في سوريا.

بالمقابل، كانت هناك فروقات كبيرة في توثيق الصادرات من لبنان إلى سوريا بين 2013 و2016، خاصة سنة 2014 حين صرّحت سوريا أنها استوردت من لبنان ما قيمته 700 مليون دولار فيما لم تظهر في الإحصاءات اللبنانية سوى قيمة 240 مليون دولار. ولا يمكن تفسير هذه الفروقات الكبيرة بإعادة التصدير من لبنان إلى سوريا التي تبقى قيمها متواضعة. واللافت أن توثيق صادرات لبنان إلى سوريا بدأ يتماثل بين الطرفين انطلاقاً من 2016. في حين بدأت الفجوة تتسع بشكل ملحوظ لناعية صادرات سوريا إلى لبنان.

الاجتماعية والتفاعلات الاقتصادية في عكار وبداية خلق مفهوم "التهرب" كي يترسخ رويداً رويداً بشكل فعلي في عقول المواطنين على أنه "تهريب" غير شرعي.

هكذا حُدّدت نقاط حدودية قانونية لتسهيل التنقل والتجارة بين البلدين على مستوى عكار تحت رقابة الجيشين والأمن اللبناني والسوري. لكن على مدى السنوات، نشأت العشرات من المعابر غير القانونية على طول هذه الحدود، تعبرها كل يوم مختلف البضائع ومئات من الأشخاص لأسباب مختلفة. واتخذ التهريب أشكالاً عدة في كثير من المحطات التاريخية: الحرب الأهلية في لبنان ودخول قوات الجيش السوري إلى لبنان عام 1976، خروج الجيش السوري من لبنان عام 2005، اندلاع الحرب الأهلية السورية عام 2011، الأزمة المالية والنقدية في لبنان عام 2019. ولذا سوف يتم تقسيم تاريخ التهريب في العقود الأخيرة إلى ثلاث مراحل: (1) قبل الأزمة السورية والتي غلبت عليها تجارة المشتقات النفطية من سوريا؛ (2) أثناء الأزمة السورية، خاصة نقل السلاح لمختلف المجموعات وتهريب الأموال والأشخاص، ثم (3) بعد الأزمة الاقتصادية اللبنانية وتأثيراتها على الاستيراد والتصدير من جهة.

4. المعابر القانونية وتطورها

حسب التقرير العسكري للجيش اللبناني، الذي تم إصداره عام 2019 عدد 408، حُدّدت المعابر القانونية مع سوريا كالتالي: المصنع، العبودية، العريضة، والقاع⁸ دون ذكر معبر جسر قمار في منطقة وادي خالد الذي أفتتح مجدداً في أواخر آيار 2009 للمشاة⁹ ثم سُمح للسيارات السياحية بالمرور بعد 10 أيام من افتتاحه (الأخبار، 2009). وتختلف المعطيات عن وضع هذا المعبر خلال الفترات المختلفة، ففي خريطة لـ Map Action & Acaps عام 2013¹⁰ اعتبر أنه نقطة عبور غير رسمية أو غير معترف بها من الحكومة. أما في خريطة لـ BBC عام 2014 فقد

بشكل نسبي تخضع للأطر الانتدابية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، ونيل معظم الدول العربية المشرقية استقلالها. تبعاً لذلك، ازداد التباعد الاقتصادي، وكان آخره انهيار الوحدة الاقتصادية بين سوريا ولبنان، حيث انتهت الوحدة النقدية عام 1948 وتبعها الانفصال الجمركي سنة 1950. فانهارت حرية ممارسة النشاط الاقتصادي لرعايا كل من البلدين في البلد الآخر سنة 1952 (الجيش اللبناني، 2002). ويذكر كمال ديب في كتابه "الحرب السورية" نقلاً عن مداخلة لجورج قرق في مؤتمر العلاقات الاقتصادية اللبنانية-السورية أن "تاريخ العلاقات الاقتصادية السورية-اللبنانية مليء بالشكاوى المتبادلة حول حصّة كل بلد من العائدات الجمركية منذ استقلال البلدين. وهذه إحدى الأسباب التي أدت إلى إلغاء الوحدة الجمركية عام 1950". ويضيف جورج قرق "أن من جراء الهوة الشاسعة بين السياسات الاقتصادية المطبقة في كل من البلدين تفتّت آفة التهريب في سوريا ولبنان."

وعلى خلفية التهميش التاريخي الذي واجهته المناطق الحدودية من عدم دمجها اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً في الدولة اللبنانية منذ إعلان لبنان الكبير، اتّجه سكّان المناطق الحدودية نحو سوريا لتوفير احتياجاتهم اليومية بأسعار أرخص وأيضاً لقرب المسافة وبشكل أكثر تحديداً بالنسبة لعكار نحو حمص بالنسبة لوادي خالد³ ونحو طرطوس بالنسبة لاتحاد بلديات الجومة⁴. فأصبحت الحياة الاقتصادية في هذه المناطق مع الوقت تدور حول التهريب أو ما يعرف محلياً بـ "تجارة الحدود"⁵. وبالإضافة إلى التهميش التاريخي للمناطق الحدودية، لم تمارس السلطات المركزية مطلقاً سيطرتها الكاملة على الحدود الإقليمية، التي كان يُنظر إليها لعقود من الزمن على أنها مساحات للتفاعل والتبادل التجاري وليست حدوداً⁶. فحتى انسحاب الوجود السوري في 2005، وتحديداً عند اشتباكات عام 2007 بين الجيش اللبناني وتنظيم فتح الإسلام في مخيم نهر البارد قرب منطقة ببنين في عكار، كانت الأجهزة الأمنية اللبنانية ممنوعة من تطوير قدراتها الاستخباراتية في المنطقة. وأدركت بعد هذه الحادثة تحديداً ضرورة تطوير قنوات استخباراتية لجميع الأجهزة الأمنية اللبنانية للاستفادة من مخبرين شعيبيين، لا سيما في القرى والمدن المضطربة⁷. ممّا جعلها تفهم أكثر الحياة

⁸ الجيش اللبناني، 2019.

⁹ زمان الوصل، 2009 والأخبار 2009: معبر قمار: بعد العسر جسر؟

¹⁰ Map Action X ACAPS، 2013

¹¹ BBC، 2014

³ Jamil Mouawad، 2018.

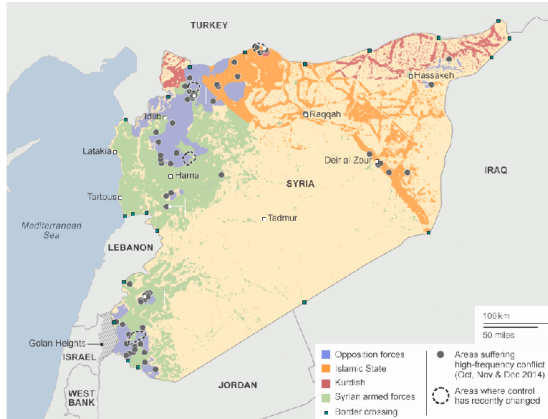
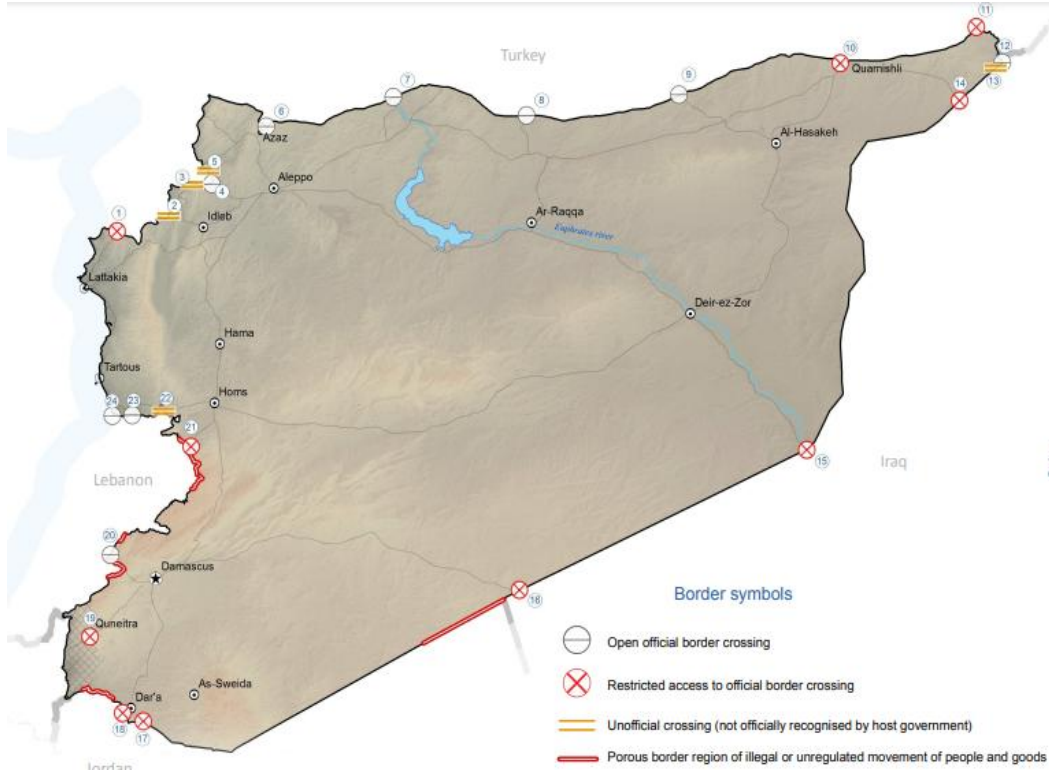
⁴ من مقابلة مع بعض سكان رحة وعكار العتيقة.

⁵ Jamil Mouawad، 2018.

⁶ SIMONE Tholens، 2017، p 872.

⁷ SIMONE THOLENS، 2017، p 880.

اعتبر أنه نقطة عبور رسمية، وفي خريطة أخرى للـ OCHA عام 2015 اعتبر أنه نقطة يمكن الوصول لها لكن ليست نقطة عبور رسمية كما توضح الخرائط أدناه.

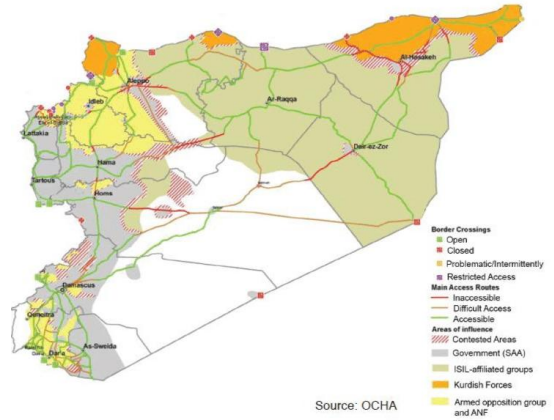


خريطة المعابر الحدودية السورية (مشروع تحليل احتياجات سورية، ACAPS & Map Action، أيلول 2013)

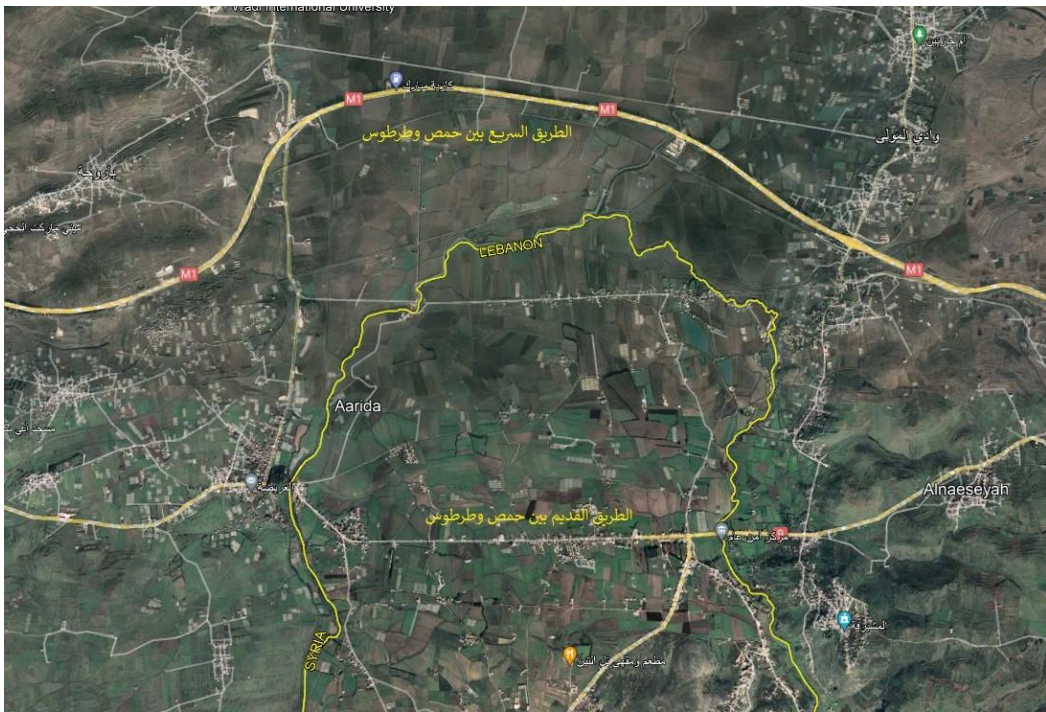
خريطة الصراع في سورية، BBC، كانون الأول 2014

OCHA map, Research gate, 2015¹²

تكمُن إشكالية هذا المعبر في أنّ الطريق القديم بين حمص وطرطوس، أي بين دمشق والساحل، كان يمرّ قبل إنشاء الطريق السريع M1 في سوريا، في أرض "البقيعة" اللبنانية لبضعة كيلومترات. وكانت تنتشر على طول هذا المعبر اللبناني الإلزامي بين منطقتين في سوريا المحلات التجارية اللبنانية وكذلك البائعون المتجولون الذين كانوا يحاولون إيقاف السيارات السورية العابرة لبيع الركاب بضائع مختلفة من السجائر إلى الأجهزة المنزلية. هذا علماً أنّ الحاجزين الأمنيين السوريين على طرفي المعبر، والذين كانا يطلّان على الطريق بينهما، كانا يحظران رسمياً على السيارات الوقوف والتوقّف، أو استكمال طريقهم داخل الأراضي اللبنانية.



خريطة وضع المعابر الحدودية الرسمية بين سورية والدول المجاورة، شباط 2015 ، OCHA



تنقّل سكان الحدود حيث أنّهم يضطرونّ لقطع مسافة أكثر من 40 كلم للوصول لمعبر جوسيه أو استخدام معابر غير شرعية. بافتتاح هذا المعبر نكون عملياً قد أقفلنا 18 معبراً

"معبر" العريضة في عكار، Google Earth

بداية 2022 أعلنت الحكومة السورية عن افتتاح معبر إضافي سادس بين الأراضي السورية واللبنانية، تحت اسم "مركز مطربا" مقابل محافظة حمص (العربي الجديد، 2022) في منطقة القصر بالهرمل غرب نهر العاصي قريباً من عكار. وحسب ما نقلته صحيفة الاخبار عن المدير العام للأمن العام اللبناني، عباس إبراهيم، "جاء افتتاح هذا المعبر لتسهيل

ويذكر تقرير آخر لصحيفة "البيان فايلز"¹⁵ أنه كان مقللاً منذ 33 عاماً قبل إعادة افتتاحه عام 2009. في حين يقول تقرير لصحيفة "الأخبار" في 2009¹⁶ بأن الآراء تباينت بشكل كبير بين أهالي المنطقة حول فائدة افتتاح هذا المعبر. فهناك من يقول أنه مكن من وصول اللبنانيين إلى الخدمات الطبية السورية وكذلك التبضع من سوريا. بينما هناك من يرى أن وجود المعبر قد ساعده في المحافظة على الصلات مع أقاربه في سوريا. لكن الملفت كانت ملاحظة صاحب محل سمانة في البقعة، الذي لاحظ انخفاضاً في عدد المشاة العابرين بين الجهتين بعد فتح المعبر. وقد أرجع صاحب المحل ذلك إلى وجود مشاكل أمنية بالنسبة إلى البعض بسبب "التخريب" حيث يقصد أن غالبية أهالي المنطقة لديهم سوابق بعمليات تجارة غير نظامية أو حتى تهريب أشخاص، بالتالي كانوا يتجنبون عبور هذا المعبر لتجنب أية عواقب أمنية أو قانونية. هذا الاختلاف في الآراء والذي وُجد منذ 2009 يُمكن أن يساعد في فهم أسباب الاختلاف على وضع هذا المعبر. فالمهزبون يريدونه مغلقاً للاستفادة من تجارتهم الخاصة. والسكان يريدونه متاحاً لتسهيل وصولهم إلى سوريا من شرق عكار وقطع الحدود بدقائق. بينما يجعل إغلاق المعبر السكان مضطرين للذهاب إلى معبر العبودية، ما قد يستهلك أكثر من 40 دقيقة بالسيارة من نقطة معبر جسر قمار.

● معبر العريضة (التسمية اللبنانية) ومعبر طرطوس (التسمية السورية) في عكار، يربط بين قريتي العريضة في لبنان والحميدية في سوريا. ويشهد هذا المعبر حركة ملحوظة للشاحنات والبضائع من سوريا إلى لبنان، وبالعكس.

● ومن مقابلة مختار قرية حكر الضاهري¹⁷: يوجد معبر قديم يسمى جسر الظاهري على النهر الكبير تم وضع نقطة للجيش اللبناني عليه. وهو مخصص لأبناء القرى

غير شرعي¹³. ومعبر جوسية شرق نهر العاصي وبعيد عن عكار.

هكذا تحدت المعابر بشكل مفصل في تقرير آخر لصحيفة "السورية"¹⁴ في 2020 حيث تتوزع المعابر العكارية كالتالي:

● معبر العبودية (التسمية اللبنانية) أو معبر الدبوسية (التسمية السورية) في عكار وهو ثاني أهم المعابر التي تربط بين سوريا ولبنان بعد المعبر الرئيسي في المصنع-الجديدة الذي يربط بيروت بدمشق. وهو يربط بين قريتي العبودية في لبنان والدبوسية في سوريا. جرى تحديثه في آب 2007 وهو عبارة عن معبر جسري على النهر الكبير، يبلغ فيه طول الجسر 45 متراً. شهد المعبر حركة كثيفة بعد اندلاع الأزمة السورية، لاعتماد المسافرين من وسط وشمال سوريا عليه للدخول إلى الأراضي اللبنانية، ومن ثم السفر جواً من مطار بيروت الدولي بعد توقف أغلب الرحلات عن مطاري دمشق وحلب. وكثيراً ما تم ذكر استخدام هذا المعبر في المقابلات التي تم إجراؤها وخاصة لسفر سكان حمص وحلب. وفي مقابلة لشاب من مشتي حسن: "خط العبودية شغال كثير بالنسبة للسوريين".

● معبر جسر قمار/البقعة/الأمني (التسمية اللبنانية) و معبر تكلخ/الأمني (التسمية السورية) في عكار. وهو معبر البقعة القديم الذي أضى يعتبر معبراً رسمياً على الحدود السورية- اللبنانية، ويربط بين تكلخ في الجانب السوري ومنطقة وادي خالد في لبنان. افتتح كمعبر رسمي قبل عامين من أحداث الحرب السورية، أي في 2009. ويطن هذا المعبر على منطقة المشيرفة والقرى المحيطة بها في منطقة ريف حمص الغربي. وهو من المعابر التي حافظت على نشاطها طيلة السنوات الماضية حسب الصحيفة، وبقي الجيش السوري يسيطر عليه، رغم محاولات الاستيلاء من قبل فصائل المعارضة.

لذا ينتقل الأهالي يومياً إلى سورية لزراعة الأرض. وإبان الأزمات يتم التشدد على العبور سواء من قبل الجيش اللبناني من الجانب اللبناني أو الجيش السوري من الجانب السوري، ما يعيق أعمال الزراعة. والظاهري نسبة إلى شخص من آل الضاهري كان يملك البلدة. قرية حكر الضاهري هي قرية ساحلية في قضاء عكار، منطقة السهل. وهي تقع بمحاذاة الأراضي السورية على حرف مجرى النهر الكبير بالقرب من الجسر التاريخي الذي يربط لبنان وسورية والذي يشكل ممراً لعبور مئات الفلاحين اللبنانيين إلى الأراضي التي يملكونها داخل سورية. يبلغ عدد السكان المسجلين في سجلات الأحوال الشخصية للبلدة نحو 550 نسمة، ينتمون

¹³ الأخبار، 2022.

¹⁴ صحيفة السورية، 2020.

¹⁵ لبيان فايلز، 2009.

¹⁶ الأخبار، 2009.

¹⁷ يشرح تقرير "الدولية للمعلومات" عن قرية حكر الضاهري: أن هذا الاسم مركب من جزئين: الأول هو الحكر أو "الحاكرة" وتعني المساحة الصغيرة من الأرض ذات سياج يحيط بها، وسميت البلدة الحكر لصغر مساحتها إذ لا تزيد عن 25 هكتاراً. حيث أن وجود البلدة قرب الحدود السورية جعل أراضيها مقسمة بين لبنان وسورية، إذ تبلغ مساحة أراضيها داخل سورية نحو 285 هكتاراً.

وبوضوح العميد الركن القاعي قائلاً: نظرًا إلى تداخل القرى بين لبنان وسوريا، وبما أن ترسيم الحدود غير مكتمل بعد في بعض الأماكن، نجد صعوبة أكثر في ضبط المرور غير الشرعي على الحدود البرية، لذا من الممكن تسجيل بعض الاختراقات. وقد شكلت قيادة الجيش أربعة أفواج لضبط الحدود البرية وحمايتها. يُرولح عديد كل من هذه الأفواج بين 1400 و 1500 جندي، وبالتالي يبلغ عديدها الإجمالي حوالي ستة آلاف عسكري، كما أنشئت أبراج للمراقبة مجهزة بأحدث الكاميرات، وذلك بمساعدة ودعم من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا¹⁸.

المجاورة دون غيرهم، وفق لوائح بأسمائهم لدة الجيش اللبناني والسوري. وفي آذار 2014 أغلق الجيش المعبر (الجمهورية، 2014). ويقول مصدر آخر من (النشرة، 2014) أنه تم إقفال المعبر من الجهتين اللبنانية والسورية منعاً لتسلل المسلحين خلال الصراع السوري. علماً أن هذه الخطوة تنعكس على مزارعي حكر الضاهري الذين يملكون أراضي زراعية في الجهة السورية. هذا الجسر لا يعبر عليه في الأساس سوى المزارعين ووفق لوائح رسمية موجودة لدى الجيشين اللبناني والسوري حسب الاتفاقيات المعقودة بين البلدين.



جسر ومعبر حكر الضاهري، Google Earth

5. المعابر غير القانونية

يحدّد النهر الكبير تقريباً ثلثي، أي 65 كلم تقريباً، من الحدود السورية-اللبنانية في عكار والتي يقدر إجمالها بـ 100 كلم، شمالاً¹⁹ ابتداءً من الهيشة في وادي خالد إلى مصبّ النهر في العريضة. بالتالي غالبية المعابر غير القانونية هي معابر

مدرسة الفقهة) بالإضافة الى أعمال غير شرعية من خلال التهريب مع سورية.

¹⁸ الجيش اللبناني، 2019.

¹⁹ النهار، 2020.

بأكثريةهم (83%) للطائفة العلوية و(17%) من السنة. لا توجد بلدية في حكر الضاهري وتتمثل السلطة المحلية بالمختار والمجلس الاختياري. تشكل الزراعة مصدر الدخل الأساسي لمعظم أهالي البلدة (خاصة التبغ والتبناك والخضار والحبوب، (راجع: مكتبة



صورة معبر نهري في حكر الظاهري خلال زيارتنا للقرية

نهريّة حيث يتم عبور النهر على لوح خشبيّ أو على مجموعة صخور، أو تكون معابر جبلية ابتداءً من حنيدر أقصى شرق عكار وصولاً إلى جبل أكروم.

يمكن تهريب جميع أنواع المواد الاستهلاكية عبر المعابر غير القانونية ولكن نظراً لوعورتها في الجبال أو لضرورة عبور النهر، فغالباً لا يُمكن تهريب كميات كبيرة من البضائع. هكذا تستخدم هذه المعابر غير القانونية خاصةً لبعض أنواع تهريب الأفراد²⁰.

هكذا نجد صنفين من التهريب حسب التقسيم الذي شرحه لنا أحد سكان وادي خالد في مقابلاتنا: "التهريب عبر المعابر غير القانونية، حيث يتمّ على سبيل المثال وليس الحصر نقل البشر والمواد المختلفة من وإلى سوريا؛ والتهريب عبر المعابر القانونية، حيث يتمّ تهريب الأموال غالباً في صناديق مصممة خصيصاً لذلك عبر سيارات نقل الركاب أيضاً سبيل المثال وليس الحصر". وفي مقابلة أخرى مع أحد سكان مشتي حسن "بالنسبة للتهريب كلّ شيء يُمكن أن نهزبه عندما تكون هناك علاقة مع بعض الجنود. والكبار والصغار يهزّبون. لكن التجارة تحتاج إلى رأس مال، وهناك كبار يسيطرون على تجارة الماشية والحبوب والكتاغون وعلى تهريب الأشخاص على سبيل المثال".

- وفي قرى أخرى يكون هناك جدار إسمنتي (تمّ بناء هكذا جدران ومكعبات إسمنتية من قبل الجيش اللبناني²¹) يفصل النهر عن كلّ من الضفتين. في هذا النوع من المناطق الحدودية لا يمكن مرور الدراجات النارية وإنما الأشخاص فقط لتسلّق الجدار ومن ثمّ العبور على اللوح الخشبي.
- أما في حالة تسهيل الطريق عبر الصخور كما شاهدنا في قرية حكر الظاهري (راجع الصورة) فهنا يتمّ العبور على مجموعة صخور للوصول للضفة المقابلة من النهر.

لكن هناك أيضاً اختلافات في طرق التهريب النهريّة حيث يمكننا تقسيمها كالتالي:

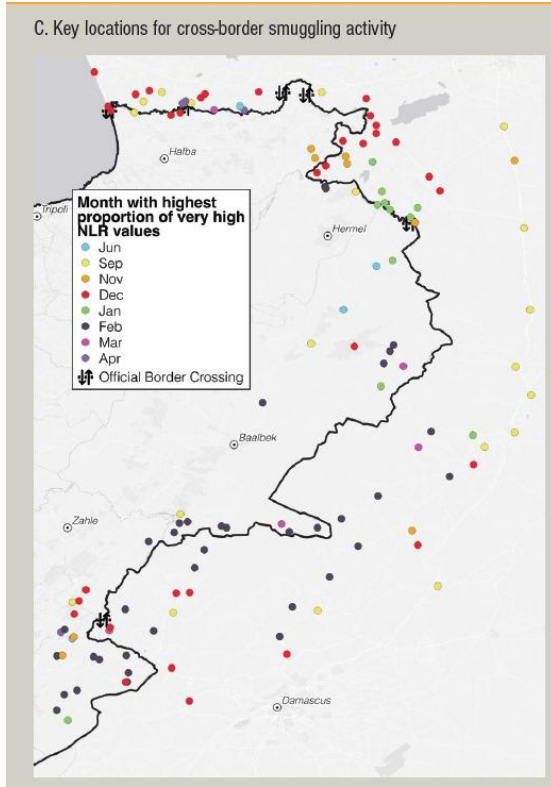
- في بعض القرى يجب تمهيد الطريق على ضفتي النهر ليتمّ تثبيت لوح عليه لتأمين مرور الدراجات النارية.

وحتماً هناك صعوبات مناخية في الطرقات النهريّة حسب الفصول. ففي فصل الشتاء يرتفع منسوب المياه في النهر نتيجة الأمطار، وفي الصيف ينخفض، فحسب مقابلة: "ليست كلّ أجزاء النهر صالحة كي يتمّ التهريب عبرها، حيث يجب أن يكون منسوب مياه النهر منخفضاً وبالتالي يسهّل مرور البضائع من خلاله". ثمّ يُضيف محدثنا في المقابلة: "حتّى أن بعض العائلات تحاول توسيع مجرى النهر بالقرب من أرضها أو منزلها باستخدام الجرّافات لجذب المهريين وتسهيل العبور" (كما ورد في مقابلة مع أحد سكان مشتي حسن)، "ولكن الجيش اللبناني يلاحق في الوقت الحالي هؤلاء الأشخاص ويعمل على تغريمهم مخالفات" (من مقابلات مختلفة).

وهناك حالتان في تعامل المهريين مع صاحب الأرض الحدودية التي تصل الجهتين اللبنانية والسورية. إمّا أن يأخذ

²¹ النهار، 2020.

²⁰ راجع الفقرة 13 أدناه.



البنك الدولي، خريطة تحدد نقاط عبور الحدود الأكثر ازدحاماً على مر أشهر السنة

أما بالنسبة لمواقع وأعداد المعابر غير القانونية فقد اختلفت بين مصدر وآخر. فعلى الحدود الشمالية، هناك أكثر من 40 معبراً معروفاً لدى القوى العسكرية والأمنية، منها عين الزرقا والصدور وحلواص في أكروم²². أما في وادي خالد، فيوجد ما لا يقل عن 7 معابر جبلية غير شرعية، يغيب عنها الحضور الأمني اللبناني والسوري تماماً. وأبرزها معبر: «أبو جحاش» و«عبيدان»²³. ينشط أيضاً معبر «الواويات» أو «المجدل»، وهو معبر يستخدم لتهريب البضائع، وهناك خيمة للفرقة الرابعة في الجيش السوري على هذا المعبر، تسهل عمليات التهريب وتؤمن لها غطاءً نارياً أحياناً²⁴. بالإضافة إلى معبر «شهيرة» في وادي خالد ومعابر «حنيدر» قرب قرية حنيدر، وأيضاً معبر «محي الدين يوسف» ومعبر «عطية السعيد» في الهيشة ومعبر «رشيد الحسين» في المقيبلة. بالإضافة لغير ذلك من المعابر التي تحمل أسماء العشائر أو العائلات في مجدل وقرحاً. ومعبر «الخوري» ومعبر «أبو

نسبته من العملية التجارية أو غالباً ما يفضل صاحب الأرض أن يكون هو نفسه «المهرب» (أي الشخص الذي لديه علاقات مع البلدين لتسهيل العملية التجارية) وهو غالباً من يجري الاتصالات اللازمة للتسهيل ولكن يُمكن ألا يتواجد شخصياً على الأرض حيث يكون لديه مجموعة من العاملين الذين هم في غالب الأحيان معارف أو أقارب. وفي غالبية الأحيان لا يتطلب إتمام العملية التجارية علاقة شخصية ومعرفة سابقة بين المهرب وصاحب الأرض الحدودية طالما لم تصنف المواد من ضمن ممنوعات ولا يوجد خلافات شخصية بين المهرب/التاجر وصاحب الأرض. فهي في نهاية الأمر عملية تجارية عادية ومتعارف عليها في المناطق الحدودية (من مقابلات مختلفة).

في حالة تجارة المواد الاستهلاكية عبر المعابر غير القانونية النهرية تتم العملية غالباً كالتالي: يجلب التاجر المواد ثم يتم تحميل البضاعة على دراجات نارية أو حملها من قبل شباب من المنطقة لقطع النهر، ومن ثم «التقطيع» أي فتح البضاعة في أرض مالك الأرض الحدودية على الأراضي اللبنانية وأخذ النسبة المتفق عليها التي تتراوح بين 20% و30% حسب نوعية المواد المهربة و/أو حسب قيمتها. وبالتأكيد يحدث هذا بعد قطع حواجز الجيش السوري ودفع حصة عناصره أيضاً (من مقابلات مختلفة). وهذا الأمر يؤكد فرضية أن التهريب عبر المعابر غير القانونية هو تهريب «بسيط» عادةً نظراً لكون الطرقات ضيقة وغير مهيّدة بالكامل. كما يتم الاستعانة بأشخاص للعقالة أو بالدرجات النارية. وفي كلا الخيارين لا يمكن تهريب كميات كبيرة مقارنة مع عمليات التهريب التي تتم في الواقع عبر المعابر القانونية حيث الطرق معبّدة وقابلة لمرور الشاحنات والآليات الكبيرة من خلالها.

²⁴ نداء الوطن، لوسي بارسخيان، 2023.

²² LBC, 2023.

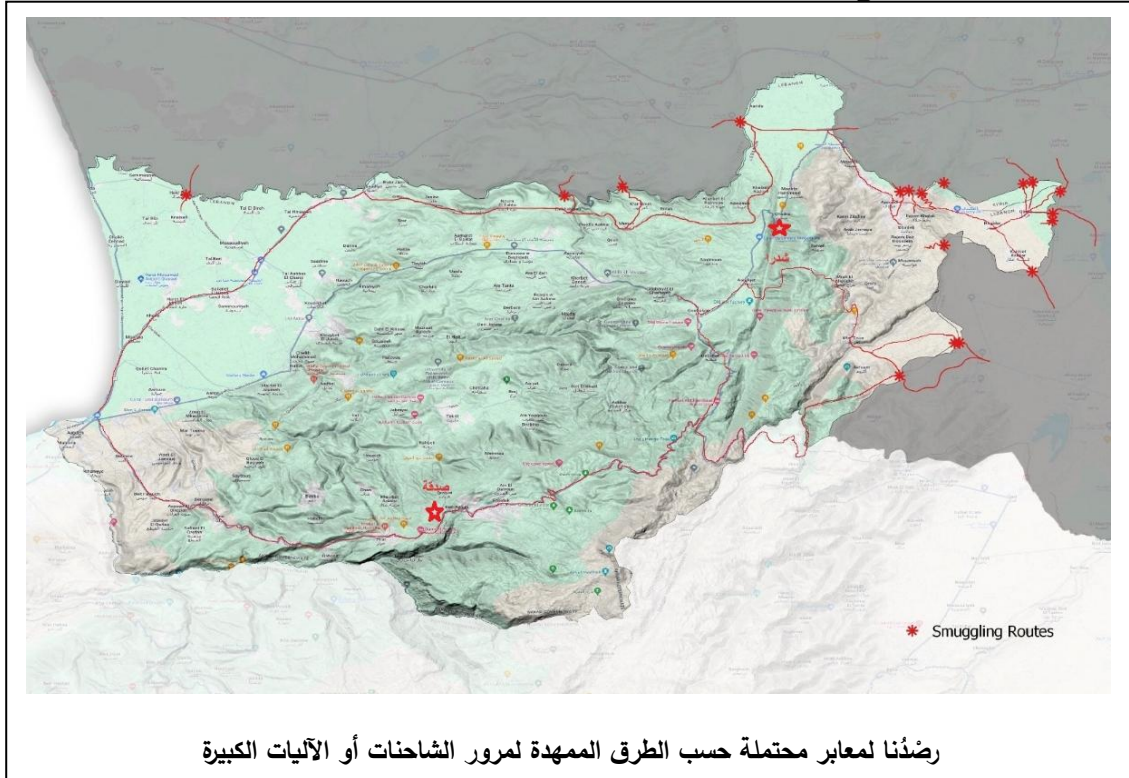
²³ المدن، جنى الذهبي، 2023.

الاحتمالات لمعابر ممكنة حسب الطرق الممهدة لمرور الشاحنات أو الآليات الكبيرة حسب صور الأقمار الصناعية في Google Maps.

الطرق شبه الممهدة لمرور عمليات تجارية كبرى في وادي خالد تعتبر وعرة وتبقى الشاحنات التي تعبر خلالها معرضة لاحتمال المساءلة من قبل أحد أكثر الحواجز تشدداً (حاجز شدرا) حين تكمل طريقها لتوزيع المواد المحملة. هكذا يبقى الطريق الأمثل لتهريب البضائع هو عبر المعابر النظامية. فكما يتم تهريب الماشية عبر هذه المعابر النظامية، يتم أيضاً تهريب أي مواد أخرى بشكل كبير. هكذا أتت إحدى المقابلات كالتالي: "حالياً يسمح الجيش لكل المزارعين اللبنانيين إذا أثبتوا أنّ لديهم أرض مسجلة أن يأتوا بـ 100 بقرة. ويتم الاتفاق مسبقاً مع الشخص الذي يساعد في عبور الحاجز، وبدل أن يتم إدخال 100 بقرة يؤتى بـ 200 مثلاً" (مقابلة مع أحد سكان مشتى حمود).

فيكتور" في شدرا²⁵ ومعبر الدبابية أيضاً، وهو الأنشط حالياً في تهريب الأشخاص²⁶. بالإضافة إلى معابر منجز، والرماح، والخالصة. ومعابر لتهريب البشر كمعابر المزرعة، وسيدة القلعة، وجسر البرغوث، ونورا²⁷. وهنا خرائط من تقرير للبنك الدولي²⁸ تحدد معابر التهريب الأكثر نشاطاً انطلاقاً من تتبع الإنارة الليلية حسب أشهر السنة. حيث نلاحظ أن المعابر في عكار تتركز من الشرق ابتداءً من جبال أكروم إلى حنيدر بشكل كثيف. وفي الشمال الشرقي يتركز التهريب في منجز. وشمالاً تتركز حركة التهريب تقريباً من جنين مروراً بالعبودية ثم إلى تل حميرة. أما في شمال غربي عكار، فتتركز الحركة من قرية حكر الظاهري حتى العريضة.

عدد المعابر غير القانونية كبير وأغلبها ليس مهيّداً لنقل كميات تجارية كبيرة، حيث ينتقل عبرها أشخاص أو دراجات نارية. أما في خريطة البنك الدولي فنلاحظ أن بعض معابر التهريب تقع بشكل مباشر على طرق مهيّدة تعتبر صالحة لمرور شاحنات وكميات بضائع كبيرة. وقد قمنا بتحديد بعض



LBC, 2023.²⁷
World Bank, Economic Monitor Syria, Summer 2023.²⁸

LBC, 2023.²⁵
²⁶ نداء الوطن، لوسي بارسخيان، 2023.

6. استمرارية التهريب والعلاقات الاجتماعية بين المجتمعين السوري واللبناني

"طرطوس هي المصيف والحديقة الخلفية لعكار، وحمص هي الروحانية والأسواق التجارية الضخمة" (اقتباس من المقابلات).



طريقة إبتكارية لتهريب الأشخاص حيث تبدو الشاحنة مغطاة بالحجر، النهار، 2023.

لم يتوقف التهريب يوماً مع التحذيات المستمرة التي عاشها البلدان، سوريا ولبنان، في السنين الأخيرة. إنما كانت هناك دائماً طرق مختلفة ومبتكرة لمواكبة التحذيات وتخطيها في سبيل العيش. كحالة الشاحنة التي غُذِلَ هيكلها لتصبح صالحة لتهريب الأشخاص، والتي بدت ظاهرياً كأنها محملة بالصخور³⁰، أو حالة تهريب البنزين في مقاعد سيارة تم ضبطها في حزيران 2021³¹. هذه الأشكال من التهريب

هناك أيضاً العديد من القرى البعيدة عن الحدود التي يمرّ من خلالها التهريب، خاصة في منطقة جرد القيطع (راجع الخريطة أعلاه)، التي تشكل نقاط مرور أساسية، أبرزها فندق وبرقايل. إذ أنّ بعض عمليات التهريب الكبيرة للبضائع تُنقل بواسطة شاحنات وسيارات "بيك أب" من سوريا إلى لبنان وتأتي من منطقة الهرمل نحو الشمال مروراً بمسلكين رئيسيين. أحدهما عبر خراج بلدتي فنيديق ومشمش وصولاً إلى بلدتي برقايل وبنين، ومنها إلى منطقتي المنية وطرطلس ساحلاً. والآخر عبر جرد القيطع في عكار أو عبر الضنية. وقد نصب الجيش اللبناني حاجزاً في محلة صدقة في جرد عكار (فنيديق وعكار العتيقة)، الأمر الذي منع المهربين من استخدام هذين المسلكين الرئيسيين مؤخراً²⁹. في برقايل، يذكر أحد الذين قابلناهم أن المواد المراد تهريبها تذهب للهرمل ثم من هناك إلى سوريا حيث يتم تهريب الحديد والغاز في أغلب الأحيان عبر الطريق الدولي. وفي مقابلة أخرى في برقايل يؤكد شاب أن هناك تقريباً عاملاً لعمليات التهريب ويمرّ العديد من الشاحنات التجارية عبر برقايل. وفي مقابلات حلباً أيضاً، أكد السكان المحليون أن عمليات التهريب تمرّ عبر البلدة، وغالباً ما تكون شاحنات مواد غذائية وغاز. في تل عباس الشرقي، كوشا، الشيخ زناد، السماقية، العبد، مشتى حمود، والبيرة أيضاً ذكر الأشخاص الذين قابلناهم مرور عمليات تهريب عبر البلدات المذكورة. وفي مقابلة أخرى في تل حميرة الحدودية قيل: "حتماً تمرّ عمليات تهريب عبر القرية". بالتالي تمتن غالب المناطق الحدودية هذا النوع من التجارة أو تلجأ إلى المعابر القريبة منها لجلب احتياجاتها الشخصية من سوريا كطريقة عيش تمّ الاعتياد عليها. وفي حين يشتهر أبناء وادي خالد بهذه التجارة إلا أنها ليست حكراً عليهم. "بشكل عام لا يوجد في عكار خلاقات بين الذين يمتنون التهريب، لأنّ سكان المناطق الحدودية لا يعتبرون الأمر تهريباً وإنما تجارة" (في مقابلة مع أحد سكان مشتى حسن). وفي قرية حكر الضاهري يقول من قابلناه "نحن لا نتاجر في التهريب إنما نجلب حاجياتنا فقط".

³¹ منشور فيسبوك، 2021.

²⁹ النهار، 202.

³⁰ النهار، 2023.

هناك ضيعة العويشات في وادي خالد والتي غالبية سكانها سوريون، وضيعة المشارفة في سوريا وغالبية سكانها لبنانيون".

هذا بالإضافة إلى عامل آخر ألا وهي الملكيات المحلية. حيث يقول أحد الذين قابلناهم من (مشتى حسن) "غالبية المهزبين هم من أصحاب الأراضي الحدودية". بحيث تلعب ملكيات الأراضي الحدودية دوراً أساسياً في توزيع القوى في المناطق العكارية وتسهيل عمليات التجارة الحاصلة على الحدود، والمشاركة بها، أو فقط لأخذ نسبة مما يتم تمريره على أرض المالك. كما يقول أحد الذين قابلناهم من قرية البيرة "عائلة المرعب كانت تحكم عكار، وهي أصلها من البيرة. حيث كانت تمتلك عائلتا المرعي والدندشي الاقطاعيتان معظم أراضي عكار. ومع مرور الأيام أصبحت الأراضي متوزعة على معظم السكان وليست حكرًا على عائلة محددة. وفي ظل النزوح السوري تحولت العديد من الأراضي إلى مشاريع سكنية. بالإضافة إلى ذلك، انتقل سكان بعض القرى المجاورة إلى البيرة. حيث جاء معظمهم من مجدل، وخرية الداود، والكواشرة". وهنا يلفت النظر إلى نقطتين: أولها، تغيير توزيع القوى حسب تغير ملاكي الأراضي الحدودية. فتغير مالك الأرض يعني في أغلب الحالات تغيير المهزب في هذه الحالة. وثانيًا تأثير اللجوء السوري على نمو القرى العكارية اقتصادياً، حيث ينعكس الأمر بوجود المشاريع السكنية ما يؤدي أيضاً لتشجيع سكان القرى المجاورة للانتقال إلى البيرة حيث تتركز المشاريع السكنية وحكماً بالتالي الخدمات التجارية والتعليمية وحتى الطبية نظراً لزيادة الطلب في المنطقة.

7. العلاقات الاجتماعية كعامل مساعد على "التهرب"

هذا بالإضافة إلى عامل آخر وهو أهمية وجود ازدواج الجنسية السورية واللبنانية لتسهيل العمليات التجارية. حيث يُعتبر الأمر أيضاً جزءاً من الروابط الاجتماعية بين

تُعتبر بسيطة نسبياً مقارنةً بكميات أكبر، مثلاً في آب 2023 "غزت" السوق اللبنانية البطاطا "الأجنبية" في ذات وقت حصاد البطاطا اللبنانية، لدرجة أن المزارعين لم يستطيعوا لا بيعها في السوق المحلي ولا تصديرها، خصوصاً وأن باب التصدير مغلق وإجازات عمليات التصدير دونها عقبات وصعوبات جمة. وقد ذكر الإعلام أن البطاطا القادمة بأسعار رخيصة آتية من سوريا³²، في حين ذكرت مصادر أخرى أنها في الحقيقة مصرية أتت بها احتكارات زراعية كبرى.

كذلك في تموز 2022، حيث موسم حصاد القمح، وفي تزامن مع منع الدولة اللبنانية تصدير القمح، اشتكى المزارعون اللبنانيون من وعود الدولة لهم بالشراء. وعند الموسم ليس هناك من يجيبهم ويشتري المحاصيل، ما يوقعهم بخسارة كبيرة. علماً أن إنتاج القمح اللبناني يقدر بـ 60 ألف طن سنوياً. حيث يذكر أحد المزارعين أنه في هذه الحالة ليس لديهم خيار سوى تهريب هذا القمح إلى سوريا³³ (راجع أيضاً تحقيق المفكرة القانونية حول تهريب القمح إلى سوريا)³⁴. وقد أتى هذا بتزامن مع تراجع حاد في الإنتاج المحلي للقمح في سوريا، في ظل اختلاف تسعيرات القمح في الداخل السوري بين مناطق سيطرة الدولة ومناطق قوات سوريا الديمقراطية (قسد)³⁵. في جميع هذه الأمثلة المتكررة، حتماً لا يمكن مقارنة الكميات مع تلك للتهريب البسيطة التي يقوم بها أفراد من سكان المناطق الحدودية.

انعكست عواقب أزمة الحرب السورية على المناطق الحدودية والاقتصادية اللبنانية بشكل كبير. ففي عكار اعتاد السكان الحدوديون على جلب حاجياتهم الشخصية من سوريا، والتي هي عادة ما تكون عبر معابر نهريّة متواضعة لتوفير التكلفة التي يتم دفعها على الحدود. بالإضافة للجوء للخدمات الصحية في سوريا. وهناك العديد من العوامل التي تساعد هذا، أهمها العلاقات الاجتماعية التي تسهل التواصل بين الجهتين السورية واللبنانية، سواء كانت مواكبة للقرارات الصادرة باستمرار من حكومات البلدين، ومعرفة المعابر وحالاتها، أو لامتلاك علاقات مع أشخاص من الجيش اللبناني أو الجيش السوري لتسهيل العملية، أو حتى معرفة فرص العمل المختلفة. كون مجتمعاً البلدين مرتبطين ارتباطاً وثيقاً. يقول اثنان من الذين قابلناهم من (مشتى حسن) و (البيرة): "لا يوجد لدينا عائلة في القرية إلا لها أقارب سوريون أو أن جزءاً من العائلة يعيش في سوريا. بالإضافة إلى ذلك

34

<https://www.facebook.com/watch/?v=5384926831593990>

35 العربي الجديد، 2022.

32 الوكالة الوطنية للإعلام، 2023.

33 سكاى نيوز العربية، 2022.

عائقي بالنسبة لهم. فالحدود أصلاً غير موجودة بالنسبة لهم. وبالتالي لا تهمّ الجنسيات المختلفة ما دامت التجارة فاعلة بين العائلتين وما دامت الجنسيّتان موجودتين ضمن العائلة لتسهيل العملية عبر الحدود. ففي حكر الضاهري هناك من يقول في مقابلة "تتزوج المرأة السورية لأنها تأتينا بكثير من الأولاد، ويمكننا أيضاً من خلالها الحصول على قرضٍ يتمّ استرداده بالليرة السورية وأيضاً شراء وتسجيل أراضي في سوريا باسمها والاستحصال على وكالة تمكنا من الاستفادة من خدمات الحكومة السورية للمزارعين والحصول أيضاً على سماد و مواد زراعية مدعومة". ولا تذكر المقابلة اهتمام أيّ من الطرفين بالحصول على الجنسية الأخرى، بل ذكر فقط المصالح التي توفرها هذه الجنسية.

و سواء اهتمّ الشباب والشابات بالجنسية أم لم يهتموا بها، تتجسّد عواقب هذه الزيجات على أطفال عكار بشكل مباشر وواضح. إذ هم يتخلّفون عن الذهاب إلى المدارس بفعل إمكانية الحصول على أجرٍ جيّد نسبياً في عمرٍ صغير من خلال مشاركة أهلهم بالعمل وحمل أمتعة المسافرين أو بضائع التجارة المهرّبة. هكذا يذكر أحد الذين قابلناهم من مشتي حسن "أنّ النقل في معظم الأحيان يدوي أو على دراجات نارية صغيرة. وغالبية الشغيلة، هم شباب صغار من لبنان لأن العامل اللبناني محمي أكثر من العامل السوري".

8. التهريب والدولة والسلطة في لبنان

تراكم التأكيد من خلال المقابلات المختلفة التي أجريناها حول إهمال الدولة اللبنانية لعكار وحول علمها الحتميّ بجميع العمليات التجارية غير النظامية التي تحدث بالمنطقة. هذا في حين يعتبر قضاء عكار الثاني من حيث عدد السكان في شمال لبنان، ويضمّ 208 قرية وبلدة مأهولة. وتدلّ مقارنة مؤشرات عكار الديموغرافية بمؤشرات الأقضية اللبنانية الأخرى، على أن عكار هي أقرب الأقضية إلى المجتمعات الريفية والأقلّ نمواً بين المناطق اللبنانية بالإجمال. وبالرغم من وجود العديد من الينابيع والأنهر وتوفّر التمديدات اللازمة لشبكة المياه في أغلب الحالات (مع أن بعض هذه التمديدات على شبكات الهاتف والكهرباء الهوائية كما تتّمت معابنته أحياناً)، يعاني العكاريون والعكاريات من عدم وصول المياه

المجتمعين السوري واللبناني ويشجع المهتمين بهذه التجارة من المجتمعين على توطيد العلاقة مع الجهة الأخرى وحتى، في كثيرٍ من الأحوال، على الارتباط عاطفياً والزواج بعائلات ممّن يمتنون هذه التجارة في البلد المجاور. فالتهريب عملية سرّية وتحتاج إلى ثقة بين الأطراف ولا تخلو من الحاجة لتوطيد العلاقة ليس فقط على الصعيد العملي وإنما الشخصي أيضاً. وهذا ما أثبتته أيضاً المقابلات التي أجريناها. حيث تكتسب المرأة السورية أو الأجنبية المتزوجة من لبناني الجنسية اللبنانية بعد مرور سنة على تاريخ تسجيل الزواج في قلم النفوس بناءً على طلبها (قانون الجنسية 1925). وفي سوريا، مع المرسوم التشريعي رقم 276 تاريخ 1969/11/24 المادة 18، يمكن للزوج المتمتع بجنسية بلد عربي اكتساب الجنسية العربية السورية طالما زوجته متمتعة بها، والعكس صحيح. ورغم الاختلاف الموجود أنّ اكتساب الجنسية مفتوح فقط أمام الزوجة في لبنان، فيما أنّه مفتوح أمام الزوج والزوجة في سوريا، يتيح الحصول على جنسيتين بالنسبة لبعض الأسر تسهيل العمليات التجارية وتسجيل الملكيات العقارية لعائلات كثيرة على طرفي الحدود.

لكن اللافت في قانون منح الجنسية اللبنانية للزوجة الأجنبية أنّه كان يطبق استثناءً وفقاً لجنسية الزوجة. وبسبب خوف السلطات اللبنانية من تجنيس الفلسطينيين والسوريات بشكل خاص، نفّذت الإدارات اللبنانية تدابير عديدة غير واردة في القانون، للحدّ من منح الجنسية للمرأة الأجنبية (وبشكل خاص السورية أو الفلسطينية) المتزوجة بلبناني. ففي السنوات الماضية، تمّ اللجوء إلى عُرفٍ يقضي بمنح الزوجة الأجنبية الجنسية اللبنانية فقط بعد إنجاب ولدين، حيث يتحدّج الأمن العام في ردّه بأن عدد الزيجات من الفلسطينيات والسوريات قد ازداد في السنوات الأخيرة، ما يستدعي التريث بإزالة الإشارة الاحترازية. وتختلف الأمور من حالة إلى أخرى حيث يُقبل في بعض الأحيان وجود طفل واحد، وفي أحيان أخرى يطلب الأمن العام إنجاب طفلين كحدّ أدنى مع عدم الوضوح في عدد سنوات الزواج التي تصبح الزوجة بعدها قادرة على طلب الجنسية³⁶.

أما في حالة المناطق الحدودية في عكار على وجه الخصوص، فالإقدام على الزواج والإنجاب يتمّ في كل الأحوال بغضّ النظر عن منافع أيّ من الجنسيّتين، أكانت السورية للشباب اللبناني أم اللبنانية للفتاة السورية، نظرًا لاعتبار سكان هذه المناطق الحدودية أنّهم عائلة واحدة والفرق الوحيد الذي يفرقهم هو النهر الفاصل، وقطعه لا يشكل أيّ

³⁶ المدن، صفاء عياد، 2019.

عليها أجهزة الأمن العام والجمارك ومخافر الدرك، سبق وتحذّر وزير الدفاع اللبناني الأسبق الياس أبو صعب عن انتشار 74 نقطة للجيش اللبناني ومخابرات الجيش على طول الحدود مع سوريا، مقدراً في حديث إعلامي في العام 2020 أنّ الحركة المالية للتهريب على هذه الحدود تبلغ 2.5 مليار دولار سنوياً وهذا قبل استفحال التهريب في السنوات الثلاث الأخيرة⁴⁰. وتتضاعف خسائر الدولة اللبنانية من التهريب عند تهريب مواد مدعومة، كما بعيد الأزمة المالية، حيث تخسر الدولة ليس فقط الرسوم وإنما أيضاً قيمة الدعم الذي يفترض أنّه موجه لسكانها. والأمر ذاته بالنسبة للمواد المدعومة المهترّبة من سوريا إلى لبنان.

وفي تقرير لصحيفة المدن في 2022⁴¹ تمّ ذكر أنه "لا سياسة في عكار تدور خارج خطوط التهريب وحمايتها"، من نافذين وتجار وسياسيين لهم مصالح كثيرة في سوريا. ويمكن الاستدلال على هذا من حادثة يذكرها تقرير لصحيفة نداء الوطن سنة 2023⁴² أنّ نواب منطقة الشمال سعوا إلى تعطيل تطبيق الأنظمة التي تسمح بمصادرة الآليات أو الممتلكات المستخدمة في عمليات التهريب. لا بل ضغطوا لـ"فرض التعامل الأمني بكل رقة مع المهربين"، بحيث يتمّ توقيفهم فقط لساعات ومن ثم يفرج عنهم. وقد يشكّل توقيف هؤلاء في حالات معينة فرصة بالنسبة لهم للتصلّل من إكمال مهمتهم في إيصال الأشخاص المهربين إلى وجهتهم الأخيرة، سواء أكانت البحر أو الداخل اللبناني. وفي إحدى المقابلات يذكر شاب أن "الجانبين السوري واللبناني يعلمان بكل شيء يتمّ تهريبه وهم على صلة ومعرفة بأغلب المهربين، وتسمح الدولتان عبر رجال الأمن بالتهريب ولكن ضمن شروط، حيث لا يسمح اليوم بتهريب السلاح أو الإرهابيين بأي شكل كان. ومؤخراً سمحت الدولة السورية ضمناً بالتهريب من لبنان ولكن على شرط ألا يتمّ تخزين المواد المهترّبة في مخازن قرب الحدود". وذكر أيضاً تقرير لمحطة LBC⁴³ أنّ "حركة التهريب نشطة جداً"⁴⁴ رغم وجود العديد من الحواجز اللبنانية والسورية، علماً أنّ أصحاب المعابر معروفون كما شبكات تهريبهم وآلياتهم". هكذا توضح جميع هذه الأحداث من المصادر أعلاه وكأنّ حدود عكار وهمية... علماً أنّها فعلياً ليست موجودة على الأرض إلا في بعض الأماكن التي بنى فيها الجيش سواتر إسمنتية. وكأنّها كما يصفها أهل المنطقة

إلى منازلهم. هكذا تشكو بعض التجمّعات من عدم وجود مصدر للمياه، ما يجعل الأهالي يعتمدون على الآبار المحفورة عشوائياً، عدا عن التوزيع غير المنظم بسبب قدم الشبكة وتردي وضعها. بالمقابل، ليس هناك توافر لشبكة عامة للصرف الصحي في غالبية القرى والبلدات، ويعتمد الأهالي بنسبة كبيرة على الجور المنفردة. كما تعاني التجمّعات كافة من سوء وضع الشبكة العامة للكهرباء وضعفها والانقطاع المستمر للتيار الكهربائي في موازاة ارتفاع كلفتها. وتطول لائحة مشاكل البنى التحتية في عكار في واقع المباني والمساكن، وواقع الطرقات وشبكات الاتصالات، إلى القطاع الصحي والقطاع التعليمي³⁷.

هكذا تبقى عكار على هامش خطط الحكومة التنموية. ولا يبقى خيار لدى السكان إلا اللجوء للعمليات التجارية غير النظامية للحصول على لقمة عيشهم ومصادر متواضعة من الكهرباء والماء. ولعلّ نواب عكار يتركون بشكل مقصود هذه "الحرية التجارية" عبر التهريب كي يحافظوا على مكاناتهم الاجتماعية أو حتى على مصالحهم المادية... ففي ذروة أزمة المحروقات في لبنان، كان يتمّ تهريب المازوت المدعوم بشكل مستمر إلى سوريا، كما كان يتمّ الأمر بالشكل العكسي قبلها.

ويؤيّد تقرير لصحيفة نداء الوطن³⁸ حالتي تهريب من عكار، أحدها تهريب 44,755 لتر مازوت عبر صهاريج وأخرى 70 عبوة بلاستيكية سعتها 8 لتر معبأة بالمازوت في سيارة "فان". هاتان حالتا تهريب مختلفتان، الأولى واجب مرورها عبر المعابر الرسمية حيث لا يمكن تمرير 44,755 لتر من المازوت من خلال صهاريج خفية دون أن تتمّ ملاحظاتها من قبل أي من الحواجز اللبنانية أو السورية. أما تهريب 70 عبوة بلاستيكية، فهي حالة مختلفة ويمكن تقسيمها على عدة نقلات. ويثبت تقرير آخر لموقع "العربية" هذا التفاوت في الكميات والأرقام التي تؤثر على اقتصاد الدولتين، حيث برز خلال مناقشة الموازنة عام 2019 التركيز على كلفة التهريب على الحكومة، حيث تُقدّر خسائر الدولة اللبنانية من الرسوم الجمركية نتيجة التهريب عبر المعابر غير الشرعية بنحو 600 مليون دولار. وقد أكد وزير الاقتصاد اللبناني السابق منصور بطيش لـ"العربية.نت" أنّ قيمة البضائع التي تُهرّب عبر *المعابر الشرعية* تُقدّر بنحو مليار دولار³⁹. إلى جانب هذه المعابر النظامية التي تتركز

⁴¹ المدن، جنى دهبيي، 2022.

⁴² نداء الوطن، لوسي بارسرخيان، 2023.

⁴³ LBC، 2023.

⁴⁴ راجع تقرير المفكرة القانونية عن التواطؤ الأمني مع المهربين، 2023/10/6.

³⁷ التأثير الاجتماعي الاقتصادي لتنفيذ القانون رقم 522 القاضي بتحويل عكار إلى محافظة، إعداد: إبراهيم جوهري.

³⁸ نداء الوطن، 2021.

³⁹ العربية.نت، جوني فخري، 2019.

⁴⁰ راجع تحقيقات المفكرة القانونية عن قضايا التهريب.

تجارة عادية، ولكن لها أصحابها المسيطرون على الحدود بمساعدة علاقات من كلا الدولتين تجعلها تسير بشكل طبيعي من دون دفع رسوم جمركية بالتحديد كما كان الأمر قبل الانفصال الجمركي بين البلدين عام 1950. لكن المصادر توثق أحياناً بعض الخلافات حول التهريب حسب المصالح الشخصية للتجار ولميسري العمليات التجارية، ومثال ذلك الخلافات التي أدت إلى حادثة انفجار المخزن الممتلئ بالمحروقات المهزبة في قرية التليل عام 2021⁴⁵.

في عكار يبلغ طول الحدود البرية السورية-اللبنانية 100 كلم من أصل 375 كلم من شرقي-جنوب لبنان إلى شمال لبنان. وفي غالب المناطق ينحصر تواجد الجيش اللبناني في حواجزه ولا تواجد مباشر له على المعابر الحدودية المفتوحة بين البلدين. يذكر أحد الذين قابلناهم من حكر الظاهري "الحركة (أي التهريب) مستمرة ولا يوجد في قريتنا تسيير لدوريات لا من الدرك ولا الجيش اللبناني حيث أنني لا أعتقد أن لديهم ما يكفي من المازوت/البنزين للسيطرة على حركة التهريب بهذا الشكل".

9. السلطة السورية وشبكتها⁴⁶

معظم البلدات المحاذية للحدود على طرفي النهر الكبير في عكار مُشرعة على بعضها حيث لا يعيق التنقل بينها سوى الإجراءات العسكرية المتخذة على الطرف اللبناني في بعض المناطق إلى جانب الألغام التي زُرعت على الجانب السوري في 2011 للحد من تهريب السلاح والمقاتلين. وحسب تقرير لهيومن رايتس ووتش، ظهرت أول تقارير عن زرع الألغام على الحدود اللبنانية من قبل السلطات السورية في تشرين الثاني 2011 حيث قال مسؤول في الحكومة السورية لوكالة أنباء أسوشيتد برس في 1 تشرين الثاني: "اتخذت سوريا إجراءات للسيطرة على حدودها، بما في ذلك زراعة الألغام". ويدعم هذا عدد من الشهود العيان في نفس التقرير لهيومن رايتس ووتش⁴⁷. ويوجد عدد آخر من التقارير التي تعزز

استمرارية وجود هذه الألغام حتى وقتنا الحالي، منها تقرير لموقع "لبنان 24"⁴⁸ تحت عنوان "الألغام تطوق لبنان"، حيث يتم ذكر حادثة انفجار لغم في البقاع أدت لبتر رجل أحد العابرين بطريقة غير نظامية وتقرير آخر لمروان طحطح في صحيفة الأخبار⁴⁹ حيث أعيد نشر الإرشادات التي نشرها الجيش اللبناني لتفادي مخاطر انجراف الألغام على الحدود السورية إلى الداخل اللبناني نتيجة العوامل الطبيعية. إلا أنه لا يوجد أي توثيق لحوادث متعددة لانفجار ألغام خلال السنتين الماضيتين 2022 و 2023 لتأكيد وجودها. ولكن مع نشاط حركة التجارة غير النظامية وتهريب الأشخاص، يتبين لنا أن مكافحة التهريب سواء الآن أو منذ زرع هذه الألغام ليست أولوية للجيش السوري، بقدر حصر هذه التجارة ضمن منافذ تسيطر عليها السلطات السورية. بحيث تستفيد منها بفرض الأتاوات على العمليات التجارية. هكذا يذكر أحد سكان وادي خالد في إحدى المقابلات أن "الكثير من سكان وادي خالد يعملون في التهريب وهناك شخصيات مرجعية مفتاحية لها علاقاتها مع الفرقة الرابعة وأمن الرابعة والأمن العسكري في سوريا بهدف تسهيل التهريب" وهذا يرجح فرضية أن المهزبين لهم علاقاتهم مع السلطات السورية التي بدورها تسهل المرور وتضمن الأمان لهم بحيث يتم المرور عبر معابر غير شرعية لكنها أيضاً غير مزروعة بالألغام في هذه الحالة.

لكن هناك تضارب في الأخبار المرتبطة بالجهة التي تضبط الحدود على الجانب السوري. ففي حين أنتت الإجابات خلال المقابلات التي أجراها فريقنا أن الفرقة الرابعة⁵⁰ هي المسؤولة عن ضبط الحدود، اشتكى غالبية سكان وادي خالد تحديداً في آب هذا العام 2023 من تبديل الفرقة الرابعة على الحدود بالأمن العسكري. ما أحدث ضجة في المنطقة وخلخلة في التجارة الحدودية⁵¹. وتقول مقالة لـ "عنب بلدي" بأن النظام السوري أجرى، مطلع العام الحالي 2023، تعديلات على الجانب الأمني في المعابر الحدودية الشرعية وغير الشرعية في سوريا، من ضمنها معبر "نصيب" الحدودي مع الأردن، إلى جانب المعابر في محافظة حمص المطلة على الأراضي

⁵⁰ الفرقة الرابعة في الجيش السوري تعرف بأنها الثانية من حيث الأهمية بعد الحرس الجمهوري، ويقود الفرقة العقيد الركن ماهر الأسد الشقيق الأصغر للرئيس بشار الأسد، وهو في الوقت نفسه قائد الحرس الجمهوري (الجزيرة، 2012).
⁵¹ راجع أيضاً تقرير المفكرة القانونية: "البؤساء" وتجارة الحدود، 2023/10/6.

⁴⁵ درج، 2023.
⁴⁶ جرى هذا البحث قبل سقوط السلطة السورية السابقة.

⁴⁷ هيومن رايتس ووتش، 2012.

⁴⁸ لبنان 24، 2017.

⁴⁹ الأخبار، 2021.

اللبنانية⁵². فبحسب تعميم صدر عن "مكتب الأمن الوطني" في سوريا في الأول من كانون الثاني الماضي، تحققت "عنب بلدي" من صحته عبر ضابط بالجيش في المنطقة الوسطى، تم تشكيل حاجز مشترك على المعابر الشرعية من الأجهزة الأمنية الأربعة (أمن سياسي، أمن عسكري، أمن دولة، مخابرات جوية) بمشاركة من "الفرقة الرابعة"، بحيث يتم تفتيش الأشخاص والسيارات بمشاركة عناصر من الجمارك. أما على المعابر غير الشرعية، فقد تم تشكيل حاجز مشتركة للأفرع الأمنية و"الفرقة الرابعة"، وتسيير دوريات على خطوط التماس⁵³.

حتى لو اختلفت الجهة السورية التي تضبط الحدود حالياً، ستستمر حركة التهريب على الأغلب كما استمرت خلال كل هذه السنوات ولكن بالتأكيد مع بعض الاختلافات في المبالغ المدفوعة. حيث يقول أحد الذين قابلناهم "تختلف الكلفة التي يتم دفعها للحواجز السورية. حيث أن الفرقة الرابعة هي الأعلى تكلفة وتأتي بعدها حواجز الأمن العسكري والأقل تكلفة هي حواجز الهجانة (حرس الحدود السوري)".

حتى لو اختلفت الجهة السورية التي تضبط الحدود حالياً، ستستمر حركة التهريب على الأغلب كما استمرت خلال كل هذه السنوات ولكن بالتأكيد مع بعض الاختلافات في المبالغ المدفوعة. حيث يقول أحد الذين قابلناهم "تختلف الكلفة التي يتم دفعها للحواجز السورية. حيث أن الفرقة الرابعة هي الأعلى تكلفة وتأتي بعدها حواجز الأمن العسكري والأقل تكلفة هي حواجز الهجانة (حرس الحدود السوري)".

10. التهريب عبر المراحل الزمنية المختلفة (ما قبل الأزمة السورية، أثناء الأزمة السورية، ثم بعد الأزمة اللبنانية)

تنوعت أشكال التهريب خلال الفترات الزمنية وتبعاً للتحديات المختلفة التي مر بها المجتمعان السوري واللبناني. فكلاهما تشاركيا في تبعات الحرب السورية وتحديات الأزمة الاقتصادية اللبنانية. وظهرت "التجارة بين البلدين" حسب تسمية أهل المنطقة وحسب إحدى المقابلات، ولم تتغير طرقها بشكل كبير ولكن تغيرت تسميتها وأصبحت سرية ومخفية أكثر منذ اغتيال رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري عام 2005 وخروج قوات الردع العربية من لبنان كي تثبت تسميتها بـ "التهريب" خاصة بين عامي 2019 و2020 في ذروة الأزمة

10.1 ما قبل الأزمة السورية (2005 – 2011)

تفترض دراسة للبنك الدولي⁵⁴ أن جذور فشل لبنان في تحقيق النمو الشامل وفرص العمل تكمن في وجود عائقين أساسيين متأصلين يعزز أحدهما الآخر، وهما (1) هيمنة النخبة التي تتخذ ذريعة الطائفية/الحكم الطائفي قناعاً لها؛ (2) والصراع والعنف الناجمان جزئياً عن ديناميات صراع أوسع نطاقاً في منطقة الشرق الأوسط. فدانما ما كان يخضع لبنان على مدى تاريخه كدولة لصراعات محلية ويتأثر بشكل مباشر أو غير مباشر بصراعات إقليمية كبيرة. وكانت التكاليف الاقتصادية والاجتماعية لهذه الصراعات كبيرة مع آثار تتجسد على الأمد الطويل.

من هذه الصراعات الحرب الأهلية 1975-1990 التي استنزفت نصف الاقتصاد اللبناني (البنك الدولي، 2015). ثم ازدهرت التجارة بين لبنان وسوريا في التسعينات بعد انتهاء الحرب وانطلاق ورشة إعادة الإعمار في لبنان. جاءت بعدها حادثة اغتيال رفيق الحريري تلتها حرب تموز عام 2006 التي تسببت بأضرار كبيرة مباشرة بلغت قيمتها نحو 2.8 مليار دولار، وخسائر غير مباشرة تقدر بـ 700-800 مليون دولار (البنك الدولي، 2015). وهنا يقول أحد الذين قابلناهم "قبل 2005، كان هناك خط يسمى خط الأمانة في وادي خالد، يفصل حدود البلدين عن بعضهما ويتفرع منه معبران آخران، أحدهم يوصل تل كلخ بشكل مباشر مع وادي خالد والآخر يصل بين حمص ووادي خالد. يتم عبور الأفراد للحدود عن طريق حائط وسلّم يفصل البلدين عن بعضهما. وعبر خط الأمانة كان يتم تهريب جميع أنواع البضائع غالباً من سوريا إلى لبنان ويتم تخزين جميع البضائع قرب الحدود على الأراضي اللبنانية لتكون وجهة أساسية لتلبية احتياجات المستهلك اللبناني وحتى التاجر اللبناني. كنا نعتبر هذا الخط أشبه بالسوق الحرة في المطارات فلا تتم أية مساءلة عن البضائع على كلا الجهتين ولا دفع أية عمولة عليها وأصلاً لم نكن نسميه "تهريب"، حيث كانت التجارة نشطة جداً. حتى أن حركة اللبنانيين كانت بغاية السهولة، إذ كان بالإمكان عبور الحدود السورية فقط بإبراز الهوية. أما بعد اغتيال الحريري عام 2005 فقد قلت كثافة التهريب. لكن عاد التهريب إلى نشاطه بعد انقضاء حادثة اغتيال الحريري وحتى وقت الحرب السورية عام 2011". هكذا كانت الأحداث

⁵⁴ البنك الدولي، 2015.

⁵² عنب بلدي، 2023/05.

⁵³ عنب بلدي، 2023/01.

وتصليح السيارات والآليات الكبيرة بالإضافة الى اللجوء لخدمات العمليات الجراحية وزيارة قبر الصحابي خالد بن الوليد، حيث يربطنا خيط روحاني مع حمص. في البيرة لدينا علاقات اجتماعية مميزة مع بلدات ومدن سورية خاصة حمص وطرطوس وتلكلخ والحصن. فقبل أن تنقسم البلاد، كانت الأراضي مرتبطة ببعضها".

10.2 أثناء الصراع في سوريا (2011-2018)

جاء في إحدى المقابلات أنه "خلال الثورة السورية ابتداء من عام 2011، قلت كثافة تهريب البضائع حيث أنه لم يعد أولوية. وأصبح تهريب الأموال بالدولار الأمريكي هو الأولوية حيث كان يُحمّل في شنت، وكذلك تهريب الأشخاص والأسلحة. وكانت حركة تهريبهم متزايدة بشكل مستمر بين عامي 2011 و2012 في ذروة الحرب". في ذلك الوقت، كانت حالة جميع المعابر خطرة بشكل كبير، وعلى المجتمعين السوري واللبناني على السواء، إذ كانت مغطاة كلياً من قبل الجيش السوري ومليئة بالألغام. وبالتالي كان هناك خوف من المرور عبر الحدود و"كانت أغلب محاولات التهريب تبوء بالفشل. حيث كان الجيش السوري يقوم بإطلاق الرصاص على كل من يراه يقوم بمحاولة عبور، وكان يُقتل أو يصاب من يقع في أحد ألغام السلطة السورية" (مقابلة). تضيف ذات المقابلة "استمر هذا حتى عام 2015 حيث لم نكن نستطيع إدخال أي شيء إلى لبنان. أما بين 2015 و2018 فكانت هناك حركة لجوء أو بالأحرى حركة كبيرة "لتهريب الأشخاص" إلى عكا". بالإشارة الى أن معلومات مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين تشير عكس ذلك لما بعد 2015 إذ كان عدد اللاجئين المسجلين يتناقص من نهاية 2015 إلى 2018⁵⁷. ويعود ذلك إلى طلب الحكومة اللبنانية من المفوضية التوقف عن تسجيل اللاجئين.

في الواقع، كان بإمكان السوريين، حتى عام 2015، الدخول إلى لبنان بسهولة نسبية. وأولئك الذين دخلوا لبنان بشكل قانوني بجواز سفر أو بطاقة هوية سارية المفعول حصلوا على قسيمة دخول وختم دخول على الحدود، مما يمنحهم إقامة مجانية لمدة ستة أشهر قابلة للتجديد لستة أشهر أخرى. لكن هذا الوضع تغير جذرياً بعد السياسات التي اعتمدها مجلس الوزراء في تشرين الأول 2014، في ذروة توافد اللجوء السوري، والتي بدأ تطبيقها اعتباراً من كانون الثاني 2015، عندما استحدثت المديرية العامة للأمن العام إجراء دخول خاص للمواطنين السوريين، من خلال مجموعة

السياسية والصراعات في البلدين تؤثر بشكل مباشر على حركة التهريب.

تركزت نقاط مؤتمر عُقد في دمشق في نيسان 2009 على العلاقات الاقتصادية السورية اللبنانية في الفترة 2001-2008 شارك فيه عدد كبير من الخبراء اللبنانيين والسوريين. حينها شرح جورج قرقم كما ذكرنا أعلاه "أن من جراء الهوة الشاسعة بين السياسات الاقتصادية المطبقة في كلٍ من البلدين، تفتشت آفة التهريب في العلاقات التجارية والمالية بين لبنان وسوريا. كي تهرب من لبنان إلى سوريا المنتجات الصناعية الغربية الممنوع إدخالها إلى سوريا أو التي كانت تخضع لرسوم جمركية عالية أو إلى تقييد الكميات المستوردة، وتهرب من سوريا إلى لبنان المواد التموينية الغذائية والنفطية المدعوم سعرها من الدولة، وأيضاً تهريب العملة السورية لتحويلها إلى ليرات لبنانية أو دولارات في سوق بيروت، ومن ثم ودائع مصرفية في المصارف المحلية اللبنانية". وقد نتج عن هذا الافتراق بين السياسات الاقتصادية للحكومتين وتباين في بنية الأسعار والرواتب العديد من الآثار أحدها التهريب في جميع المجالات بين البلدين⁵⁵. وحده تهريب المازوت من سوريا إلى لبنان كان يكلف الخزينة السورية بين 800 مليون ومليار ونصف مليار دولار سنوياً⁵⁶.

أما عن شكل العلاقات الاجتماعية قبل اندلاع الصراع في سوريا عام 2011، يقول أحد الذين قابلناهم "كان لدينا العديد من الأملوك والقرايات العائلية (في سوريا) وكنا دائماً نتسوق من حمص وتلكلخ وطرطوس. كنا نعتمد على المواد والخدمات السورية تقريباً 100% حيث يبلغ الطريق إلى حمص نصف المسافة إلى طرابلس. وكانت كثافة التهريب أكبر بكثير نسبة إلى ما هي عليه الآن".

أما في بلدة البيرة فكانت العلاقة أقوى مع سوريا. وهذا ما يؤكد لنا أحد أهالي البلدة، "كان أهل البلدة يذهبون كثيراً إلى سوريا حيث أن البيرة تملك أكثر من 5 ضيع ضمن الأراضي السورية. وهناك أشخاص من أهالي البيرة يسكنون في سوريا، مثل عائلات العزيزية والمشيقي والعكاري. كما أن هناك عشرات العائلات نفوسها في البيرة، تذهب إلى طرطوس وحمص أكثر من طرابلس حيث أن لديها أراضي ومصالح في سوريا. حتى أن غالييتهم ظلوا يذهبون إلى سوريا حتى في أوقات الصراع السوري. أما باقي أهالي المنطقة فكانوا يذهبون للتبضع بمختلف أنواعه، خاصة لشراء الأدوية

⁵⁷ مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين - بيانات

⁵⁵ كمال ديب، الحرب السورية.

⁵⁶ قاسيون 2008 وأخبار النفط السوري 2008.

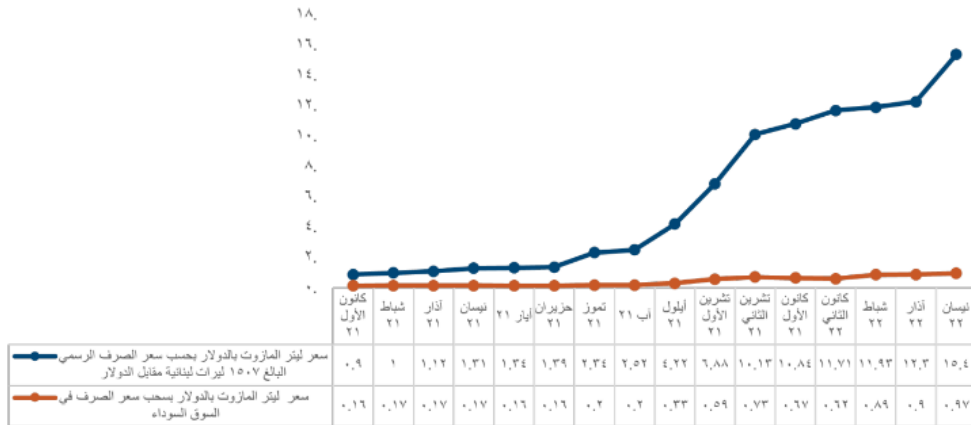
بقلب رجب ومداوتهم جميعاً. حتى أن الجيش اللبناني عمِلَ على تسوية أوضاعهم فور وصولهم. هذا يوم يُتَرَخَّ بالنسبة لنا كنهاية الحرب السورية (!). حيث أننا كنا من الأشخاص المتأثرين بالحرب ومن الأكثر تضرراً لقربنا من الحدود السورية. غالبية القذائف كنا نسمعها، وحتى إطلاق الرصاص. وعندما كنا نذهب للصيد حتى ولو كنا نبعد مسافة عن الحدود، يتم الرد من قبل الجيش السوري بالقذائف عند إطلاقنا لأول طلقة. في هذا الوقت لم يكن الجيش اللبناني يتدخل في أي من هذه الإشكالات. أما في مقابلة أخرى فقد قيل لنا أن التواصل "قلّ وقلّت العلاقات الاجتماعية منذ اندلاع الصراع نتيجة الوضع الأمني". يذكر أيضاً أحد الذين قابلناهم "ولو أن حركة التهريب عادت في 2015 ولكنها كانت خجولة جداً، خوفاً من السلطات السورية وأية تعذبات قد يواجهها المهربون جراء ممارساتهم التجارية. لكن المهنة تجذرت من جديد في عكار واختفى الخوف من السلطة السورية في مطلع عام 2019 في بداية الأزمة الاقتصادية اللبنانية".

10.3 انطلاق الأزمة اللبنانية وما بعدها (2019 – 2022)

فئات للدخول بشكل قانوني والإقامة في لبنان. وشملت هذه الإجراءات تأشيرات قصيرة الأجل (لأغراض السياحة والأعمال التجارية والتسوق وأصحاب العقارات أو المستأجرين والدراسة والعلاج الطبي والموايد مع السفارات) وتلك للإقامات طويلة الأجل (للاستثناءات الإنسانية). كما أدى تنفيذ سياسات عام 2014 إلى تكاليف كبيرة على اللاجئين السوريين، شملت رسوم تجديد سنوية قدرها 200 دولار أمريكي، بالإضافة لتكاليف البلدية، ورسوم كاتب العدل. كل ذلك ساهم بالتحوّل نحو تهريب الأشخاص خلال تلك الفترة⁵⁸.

أما بالنسبة للعلاقات الاجتماعية على الحدود السورية في عكار في تلك الفترة فيما يخص لجوء السوريين، فبدأ من خلال المقابلات أن هناك حالات مختلفة منها عائلات لجأت إلى لبنان وتمت استضافتها عند أقارب لها في عكار ومنهم من قلّ التواصل معهم بسبب العوائق الأمنية. يذكر أحد الذين قابلناهم من مشتي حسن مشاهد من حصار قلعة الحصن: "في 2015 في آخر مواجهة بين المعارضة والجيش السوري في قلعة الحصن. فرّ العديد من اللبنانيين والسوريين الذين كانوا محاصرين في القلعة إلى لبنان. البعض توفي على الطريق، والبعض الآخر نجا، حيث تم استقبالهم في قريتنا

الجدول ١: أسعار المازوت في لبنان



المصدر: المؤلفون استناداً إلى القيم الإجمالية من موقع Lira Rate^{١٢}

عقوبات مفروضة عليها. حينها ازداد التهريب بشكل كبير، خاصة من لبنان نحو سوريا. فمنذ مطلع العام 2019، افرقت أسعار صرف العملات الأجنبية في لبنان عن الأسعار الرسمية ما أدى إلى زيادة ملحوظة في التهريب، ولا سيما تهريب المازوت. هكذا أصبح سعر المازوت في لبنان أرخص

شكل يوضح تطور أسعار المازوت في لبنان، بحث لمسارات الشرق الأوسط، 2022

انطلقت الأزمة المالية اللبنانية عام 2019، في حين كانت سوريا تحاول التعافي بعد سنوات من الصراع وفي ظلّ

بكثير منه في سوريا. حيث تمكّن مستوردوه اللبنانيون من شراء الدولار باليرة اللبنانية في مصرف لبنان بسعر تفضيلي بين 1/2019 و 1/2021 لبيعه في الأسواق بأسعار رخيصة حسب سعر صرف السوق السوداء. في الوقت ذاته خفضت الحكومة السورية الدعم على النفط وزادت الأسعار، وكانت تعاني من انقطاعات متكررة في توريد المشتقات النفطية⁵⁹. وتذكر مقابلات أجرتها "مسارات الشرق الأوسط" أنّ جميع الصهاريج دخلت سوريا عن طريق القصير والقلمون الغربي حسب تصريح أحد مهربي النفط المقيم في ريف دمشق. أما في كانون الأول 2021 فقد قدر عضو في نقابة أصحاب محطات المحروقات في لبنان أن ما يصل إلى مليار ليتر من الوقود قد تم تهريبه إلى سوريا في 2021⁶⁰. هكذا تراوحت الفروقات في 2012 و 2022 بين أسعار المازوت في لبنان حسب سعر الصرف الرسمي والحقيقي بين 5 و 16 ضعفاً !!! (راجع الشكل السابق).

وكانت دراسة ميدانية⁶¹ قد بينت أن أسعار البنزين في لبنان وصلت في آب 2020 إلى 70% من أسعارها في طرطوس، ثم أضحت 20% فقط في تشرين الأول 2020. وكذلك وصلت أسعار مازوت النقل (الديزل) في لبنان في آب 2020 إلى 50% من أسعارها في طرطوس ثم انخفضت إلى 37% فقط في تشرين الأول من ذات العام. أما أسعار الغاز المنزلي في لبنان فقد قدرت في آب 2020 بنسبة 33% من أسعارها في طرطوس وبقيت عند 30% في تشرين الأول. هذا عدا النقص الكبير في المعروض المتاح للمشتقات النفطية في سوريا من جراء العقوبات.

بالإضافة إلى ذلك تشير بيانات انبعاثات الأضواء الليلية من تقرير للبنك الدولي أن البلدات والمناطق القريبة من مسالك التهريب شهدت طفرة اقتصادية استمرت لفترة قصيرة بين أوائل العام 2020 وصيف العام 2021 عندما ازدادت هوامش الربح الناتجة عن تهريب المازوت (الديزل) من لبنان إلى سوريا بشكل كبير. وتشير انبعاثات الأضواء الليلية وبيانات استخدام الأجهزة المحمولة إلى أن التهريب تجاوز نقاط التفتيش الرسمية. حيث لا تظهر بيانات الجمارك اللبنانية أية زيادة في حركة خروج البنزين والمازوت (الديزل) إلى سوريا بين عامي 2020 و 2021⁶².

هاجم الرأي العام في لبنان خلال تلك الفترة السلطات اللبنانية التي سمحت بالتهريب من لبنان إلى سوريا، مع غض النظر على العكس. فقد ذكرت إحدى المقابلات أنّ "هناك تقبّل للتهريب من سوريا إلى لبنان ورفض للتهريب من لبنان إلى سوريا". وفي أواخر آب 2021 أكد فادي أبو شقرا ممثل موزعي المحروقات في لبنان لموقع انبندنت عربية أن "هناك مشكلة أساسية في تأمين المازوت، ما ينعكس على سائر القطاعات الاجتماعية"، لافتاً إلى أنه "كنا موعودين بقدوم مجموعة بواخر إلى لبنان، بالإضافة إلى شحنات من العراق، ولكن لم يأت أي شيء بعد مرور أسبوعين، وانعكس الأمر زيادة في تقنين الكهرباء لدى مؤسسة كهرباء لبنان إلى 23 ساعة انقطاعاً". وقد أشار أبو شقرا إلى أن المشكلة تكمن بين الشركات المستوردة ومصرف لبنان لناحية عدم تأمينه اعتمادات الاستيراد بالعملة الأجنبية، ما انعكس على الموزعين، ثم أضاف "لا نجد حلحلة، والأمر تزداد صعوبة، وتقلص الكمية في الأسواق باستمرار"⁶³. وقد أشار البنك الدولي إلى انخفاض انبعاثات الضوء ليلاً في القرى السورية القريبة من حدود لبنان بشكل ملحوظ انطلاقاً من صيف عام 2021، وهو ما يبدو مرتبطاً بتقليص الفجوة في أسعار الوقود بين لبنان وسوريا بعد انتهاء الدعم اللبناني الرسمي⁶⁴.

وقد اشتكى المزارعون اللبنانيون من تهريب منتج من سوريا إلى لبنان في ذات الفترة، وهو البيض، حيث يشكّل إنتاج البيض والدواجن أحد المنتجات الرئيسية لعكار. حيث أكد رئيس النقابة اللبنانية للدواجن موسى فريجي أنّ "تهريب البيض لم يتوقّف أبداً منذ أربع سنوات. وقد وصلت نسبة التهريب فيه إلى درجة توازي 50% من الإنتاج اللبناني، وهذا ما سبّب توقف 50% من المزارعين عن إنتاج البيض"⁶⁵. وقد ذكر شاب في إحدى مقابلاتنا أنّه "في السنتين السابقتين حدث أيضاً هجوم كبير من اللبنانيين ضدّ تهريب المواد الغذائية إلى سوريا، وتم قطع الطريق عدّة مرّات أمام شاحنات تنقل موادّ إلى سوريا، ظناً أنّها موادّ يتم تهريبها ولكنها كانت تابعة لبرنامج الغذاء العالمي وتنقل مواد بالترانزيت نحو سوريا". وجاء في مقابلة أخرى أنّه "في الوقت الحالي يتم الاعتماد بشكل كبير على الأدوية السورية، وكذلك الخضار والماشية ومواد التنظيف وحتى البلاستيكيات"، حيث يتّضح أن تهريب الماشية أصبح منتشرًا بشكل كبير في الوقت

⁶³ إنبندنت عربية، 2021.

⁶⁴ Syria Economic Monitor, 2023.

⁶⁵ صوت بيروت انترناشونال، 2020.

⁵⁹ مسارات الشرق الأوسط، 2022.

⁶⁰ مسارات الشرق الأوسط، 2022.

⁶¹ منتدى الاقتصاديين العرب، 2021.

⁶² Syria Economic Monitor, 2023.

اللجوء الدائم للخدمات الطبية في سورية. وتشير مقابلة مع شيخ قرية أخرى أيضاً إلى أنَّ الأغنام المهربة من سوريا يتم تصديرها مباشرة إلى تركيا وقطر من قبل العشائر التي لم تعد متواجدة على المناطق الحدودية (آل الزاهر في ببنين مثلاً).

11. تهريب الأفراد

يُدرج تهريب الأشخاص تحت عدّة مسارات. ويتمّ تقرير شكل العملية حسب أهمية الشخص الذي يتمّ تهريبه وقدرته المالية. فهناك تهريب للأشخاص القاطنين على الحدود أو الأشخاص الذين يأتون إلى لبنان في موسم كطف التفاح أو الكرز أو الزيتون للعمل ومن ثمّ يعودون إلى سوريا. وهذا أبسط الأشكال وأقلّها تكلفة. فإن كانوا من سكان الحدود في الأراضي السورية، يتمّ قطع النهر الكبير والحاجز السوري ومن هناك يذهب الأشخاص إلى حيث يريدون. في هذه الحالة تتراوح التكلفة عادةً بين 20 د.أ إلى 30 د.أ للشخص. أما النوع الثاني فهو تهريب الأشخاص الذين يريدون زيارة الأقارب أو حتى التسوّق ولا يمكنهم الذهاب رسمياً إلى سوريا، إمّا لأنهم مطلوبون للخدمة العسكرية أو لكي لا يفقدوا الميزات أو المساعدات التي يحصلون عليها من الجمعيات في لبنان. بالنسبة إلى هذا النوع، ترتفع التكلفة إلى 100 د.أ وقد تصل إلى 250 د.أ للشخص. وقد تزيد أو تنقص هذه الكلفة حسب الوجهة المقصودة في لبنان أو سوريا. وتنقسم تكلفة العملية هذه إلى تكلفة وقود الآلية التي سيتمّ نقل الأشخاص بها، وعمولة الحاجز السوري، وأتعاب العتالين إن كان لديهم أمتعة أو شنت خلال عملية قطع الحدود، وعمولة المهرب.

يأتي من بعد هذين النوعين من التهريب، التهريب الأكثر كلفة وهو تهريب الأشخاص المطلوبين أمنياً. ولكن تشير بعض الأبحاث⁶⁸ أنَّ بعض الأشخاص المطلوبين أمنياً يذهبون عن طريق شُعبا في جنوب لبنان. كما يُهرب المطلوبين أمنياً عبر منطقة وادي خالد وحتى أحياناً عبر الحدود مع الهرمل، وغالباً ما يسلبون أموالهم. وتتراوح التكلفة في هذه الحالات من 250 د.أ إلى 1000 د.أ حسب أهمية الشخص الذي يتمّ نقله وأهميته بالنسبة إلى السلطات السورية. ومن ثم يأتي النوع الأخير، الأكثر تكلفة، والأكثر

الحالي (2023) حيث يتم تأمين الطريق لقطع كامل باتفاق مسبق بين المهربين وحرس الحدود، وعادة ما تكون عملية التهريب ليلاً والاتفاقية على رقم معين مثلاً إدخال 100 رأس بطريقة شرعية والبقية تهريب.

أما في أوج الأزمة المالية اللبنانية التي تزامنت مع انتشار جائحة فيروس كوفيد-19، بدا أنّه كانت هناك حاجة ملحة للمعدات الطبية المختلفة في عكار. هكذا جاء في إحدى المقابلات أنّه "خلال الأزمة الاقتصادية كانت هناك حاجة ملحة للمعدات الطبية أهمّها مكثات الأكسجين، حيث كنا نجلبها تهريب من سوريا لتغطية حاجات القرية، أما الآن فليست هناك حاجة لذلك". وذكر أيضاً أنّه "بين عامي 2019 و 2020 كانت هناك نقطة فاصلة في التهريب، حيث انكسر الخوف من الجيش السوري ولم تعد مخاطرة التهريب كما في الأعوام السابقة. وعاد التهريب بشكل فعال خلال الأزمة اللبنانية وأصبح متبادلاً بين البلدين حسب حاجة كلّ بلد".

وفي مقابلة أخرى يضيف شاب حول ذهاب المواطنين اللبنانيين لشراء الأدوية وتهريب المواشي ويضيف: "في الوقت الحالي يذهب المواطنون لشراء اللحم والزيت والدخان والمشتقات النفطية والبالات (الألبسة المستعملة المعاد تدويرها) وألواح الطاقة الشمسية⁶⁶. بالإضافة إلى تهريب الأشخاص". هكذا على عكس مقابلات أخرى حيث أن الأغلب يقول أن اللجوء للخدمات العلاجية والتبضع في سوريا قد قلّ بعد الصراع. وكان النقاش في بزينا وعكار العتيقة مختلفاً حيث قيل أنّه يتمّ حتى في وقتنا الحالي التبضع من سوريا في المنطقة وخصوصاً لشراء الأدوية والاستطباب والعمليات التجميلية بشكلٍ محدّد في طرطوس. وما شجّع السوريين والسوريات على استخدام طرق غير رسمية للدخول إلى بلدهم هو إصدار الحكومة السورية لمرسوم في تموز 2020، يستلزم تصريف 100 دولار بالليرة السورية بسعر الصرف الرسمي - وهو أحياناً بعيد عن سعر صرف السوق السوداء والدولار قليل التوافر في سوريا - عند كلّ عبور إلى سوريا⁶⁷.

وتبيّن مقابلة أخرى مع مختار لقرية أنّ حركة التهريب مستمرة وعادية جداً في منطقتنا. وفي الوقت الحالي هناك حركة تهريب للقمح نشطة جداً من وادي خالد نحو تركيا مباشرة وبين لبنان وسوريا، وهناك حركة تهريب للمواشي والأغنام وزيت الزيتون والأدوية والمواد الغذائية، بالتأكيد بالإضافة إلى

⁶⁷ Syria Economic Monitor, 2023.

⁶⁸ XCEPT, 2022.

⁶⁶ هذا بالرغم من أنّ تهريب ألواح الطاقة الشمسية يتمّ عادةً من لبنان إلى سوريا (!). فربما المقصود هو ألواح طاقة مهربة من تركيا أو إيران (حيث هي رخيصة جداً) عبر سوريا إلى لبنان.

بالهجرة السرية وحتى القسرية في هذا السياق، هي المجال الوحيد للعديد من سكان عكار. وتعتبر قرية ببنين هي المكان الذي يتم فيه تنظيم وتيسير معظم رحلات الهجرة السرية. حيث يشتهر غالبية سكانها بعملهم كبحارة وبامتهانهم هذه المهنة منذ الحرب الأهلية (مقابلة).

تخضع المناطق الساحلية لحراسة البحرية اللبنانية، وهي إدارة فرعية للقوات المسلحة اللبنانية. لكنها تتميز بضعف ميزانيتها ومعداتها المحدودة. وتعكس مهام القوات البحرية اللبنانية إلى حد كبير مهام خفر السواحل، أكثر من مهام البحرية التقليدية". وهناك أيضاً الأجهزة الأخرى - قوى الأمن الداخلي والأمن العام والجمارك - التي تمتلك كل منها قارباً أو قاربين صغيرين، ولكنها تفتقر أيضاً إلى التدريب والصيانة.⁶⁹

ليست الهجرة السرية دائماً عبر البحر. إذ يُعتبر استخدام وثائق مزورة للخروج من لبنان جواً أيضاً من أهم أنشطة التهريب. فقد أدى الصراع في سوريا إلى زيادة الطلب على الوثائق المزورة. وتختلف تكلفة هذه المستندات، اعتماداً على الحاجة إلى تغيير الاسم أو تاريخ الميلاد أو الصورة الفوتوغرافية أو إضافة ختم الخروج أو الدخول، أو إذا كانت هناك حاجة إلى إصدار مستند جديد بالكامل. وتتراوح أسعار هذه الوثائق المزورة بين 2,000 و10,000 د.أ.⁷⁰ وقد أثرت السياسات السورية الأخيرة أيضاً على استخدام خدمات التهريب، ولا سيما طلب الحصول على تأشيرة خروج للرجال المطلوب منهم أداء الخدمة العسكرية الإلزامية. والهدف دوماً هو تهريبهم من سوريا إلى لبنان ومن ثم إلى أوروبا.⁷¹

في عام 2014، كان السوريون هم الجنسية الأكثر هجرة من الذين وصلوا بشكل غير قانوني إلى أوروبا، بنسبة 28% من إجمالي المهاجرين. ولم تقف عمليات الهجرة والتهريب من سوريا ثم إلى الخارج بعد 2015. حيث توثق مقالة للجزيرة في تشرين الأول 2022 لجوء العديد من موظفي القطاع العام في سوريا للهجرة منذ 2015 إذ أن أغلبهم يعمل في وظائف أخرى بعد انتهاء دوامهم الرسمي، في حين أن الحد الأدنى للأجور بعد الزيادة الأخيرة في كانون الأول/ديسمبر 2021 توقف عند عتبة 92 ألف ليرة سورية (17 دولاراً) شهرياً. منهم من يحاول تقديم استقالاته لكن عادة ما تجابه بالرفض، علماً أن عقوبة من يتغيب عن الوظيفة العامة لمدة 15 يوماً من دون إذن إجازة أو تقرير

أماناً بين جميع أشكال التهريب وهو ما يسمى بـ"الخط العسكري"، على غرار ما كان قائماً على المعابر الرسمية خلال الوجود السوري في لبنان، حيث يلجأ إلى هذا النوع من التهريب الأثرياء السوريون اللاجئون في أوروبا الذين يرغبون بالدخول إلى الأراضي السورية من دون أن يتم ختم جوازات سفرهم. ويقال أن هذا النوع من التهريب يتم بسيارات فارغة ولا يمكن معرفة حتى اسم الشخص الذي يتم نقله، لا من قبل الجيش السوري ولا من الجهات المهربة، وعادة يكون الأمر عبر ضباط أو أشخاص مرموقين ذوي نفوذ في البلدين. تتراوح تكلفة هذا النوع من التهريب من 3,000 د.أ إلى 10,000 د.أ للشخص ويتم عملية النقل على طرق معبدة دون المرور بالنهر الكبير، بحيث يمر الشخص عبر جميع حواجز الطريق دون أن يتواصل بشكل مباشر مع قوى الحواجز. وقد يتخلل العديد من عمليات التهريب حوادث اعتقال أو حتى اختطاف تطل غالباً الأشخاص الذين يستخدمون طرق تهريب غير مناسبة لحالاتهم أو لقدراتهم المادية. وعلاقة المهربين مع عصابات الخطف هي علاقات تعاون بحيث يتم الاتفاق بينهم لطلب فدية من الأشخاص المهمين أو الأثرياء.

12. الهجرة القسرية أو "غير الشرعية"؟

حاول سكان المناطق الحدودية المهمشة التعايش مع الأزمات المتتالية التي عرفها المجتمعان السوري واللبناني باللجوء إلى التجارة الحدودية. إلا أن خيارات المعيشة المقبولة لم تعد تتوفر لكثيرين بينهم، بحيث سئموا من محاولاتهم المتتالية لمواجهة الصعوبات المحلية وأزمات البلدين، ف لجؤوا إلى خيار الهجرة. ولكن ما هي الهجرة المتاحة لهؤلاء الأشخاص؟ إذ أن الكثيرين ليس لديهم الوثائق الكافية للتقديم على تأشيرات أو حتى "المؤهلات" المطلوبة رسمياً للذهاب لدول أوروبية كما يرجو معظمهم. كما أنه ليس لدى البعض حتى رفاحية المحاولة للمجازفة بكل ما يملكون للتقديم على تأشيرة وتحمل تكلفتها، علماً أن هذه التأشيرة يمكن أن تقبل أو أن تُرفض باحتمالات متساوية. هكذا أصبح الهجرة التي تعرف بالـ"غير شرعية" والتي يمكننا تسميتها

European Commission, DG Migration & Home Affairs, 2015. ⁷¹

Amreesh Jagarnathsingh, 2019. ⁶⁹
European Commission, DG Migration & Home Affairs, 2015. ⁷⁰

13. خلاصة

يلقي هذا التقرير نظرة مختلفة في فهم منظومة "التهرب" في عكا، في نشأتها ودوافعها ومستقبلها. فالتهريب بين لبنان وسوريا هو في الأساس تجارة تعود لما قبل نشوء البلدين وترسيم الحدود، وهي طريقة كسب عيش اعتادها سكان تلك القرى والمناطق على طرفي النهر. خاصة وأن هذه القرى قد واجهت صعوبات في الوصول لبعض الخدمات والمنتجات الأساسية التي كانت تأتي سابقاً من الطرف الآخر للنهر والآن توقفت بعد أن أصبحت الضفة الثانية هي دولة أخرى. ومما زاد الأمر سوءاً هو تهيش هذه القرى من الخطط التنموية اللبنانية والسورية على حد سواء كونها تقع على أطراف الدول، وبعيداً عن العاصمة والأماكن الحيوية مما أوجد صعوبة في التنقل اليومي. تجلّى ذلك بأوضاع اقتصادية صعبة وغياب شبه تام للبنى التحتية، لهذا لجأ السكان للتعامل مع أقاربهم على طرف النهر المقابل للحصول على احتياجاتهم اليومية وكسب معيشتهم، وبعدها تحولت هذه التجارة إلى ما نسميه حالياً "تهريب" لأنه يقع خارج النطاق الرسمي للتجارة بين الدولتين والذي ترسخ مفهومه بصورة أكبر منذ اغتيال الحريري عام 2005 وخروج القوات السورية من لبنان.

أما من الناحية الاقتصادية، فإن مقومات عكا بطبيعة الحال هي محدودة. وتقتصر فرص العمل الشرعية في عكا على العمل في سلك الدولة، من تعليم، وجيش، وعمل بلدي، أو التجارة الحرة. والخيارات الأخرى هي إما النزوح إلى مناطق أخرى في لبنان بحثاً عن عمل، أو الهجرة عبر القوارب إلى أوروبا. وإن لم يتوفر أي من هذه الخيارات، فإن "تجارة الحدود" لأغلبية السكان لا مفر منها، كون كلفتها المبدئية قليلة، ومتوفرة بسهولة من خلال الأقارب أو أبناء القرية.

من المنظور الرسمي، يُظهر البحث كيف يتجلى حجم "التهريب" أيضاً من خلال بيانات تصريحات التصدير والاستيراد لسوريا ولبنان التي تم تحليلها. هكذا تظهر "فجوة تهريب" رسمية كبيرة في التجارة بين البلدين، حيث تصرّح لبنان بصادرات أعلى من تصريحات سورية، والعكس صحيح. وهذا يؤكد وجود تهريب يمر عبر معابر الدولتين الرسمية. لهذا يمكننا القول أن التهريب لا يقتصر على الأفراد، بل أيضاً

طبي هي السجن من 3 إلى 5 سنوات بالإضافة إلى غرامة مالية تضاهي مرتب الموظف وتعويضاته لسنة خدمة وفقاً للمادة 364 من قانون العقوبات السوري. هكذا تترافق هذه المعاناة مع هجرة عشرات الآلاف من الموظفين⁷². وهذا مثال عن الوضع المعيشي والاقتصادي الذي يتدهور مع الزمن في سوريا. أما بالنسبة للسوريين والسوريات في لبنان، فإن أنواع المعاناة كثيرة أيضاً، وسط التحديات الاقتصادية وخطابات الكراهية الموجهة بشكل مستمر نحو المجتمع السوري. ففي عام 2022، هكذا، وفقاً لأرقام مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين⁷³، كان 66% من المهاجرين المحتملين من لبنان سوريين، و24% لبنانيين، و10% فلسطينيين.

يتم تهريب المهاجرين عبر شاحنات (بيك أب) يملكها المهزبون خاصة نحو البلدات الساحلية. وفي عكا، يتم التهريب في غالب الأحيان إلى ساحل العريضة وتحديدًا قرية الشيخ زناد. وبمجرد وصول المهاجرين إلى البلدة، عادة ما يتم إبقاؤهم في شقق حتى يحين وقت المغادرة. ولا يكون وقت المغادرة معروفاً مسبقاً، بل قد يتم إبقاء المهاجرين في هذه الشقق لفترات طويلة من الزمن. وتختلف طرق العمل لعبور البحر الأبيض المتوسط، حيث يغادر البعض على متن قوارب سريعة غير صالحة للإبحار أو على قوارب صيد خشبية⁷⁴. ثم يتم نقلهم إلى القارب الأكبر المراد تهريب عدد كبير من المهاجرين على متنه. أما بالنسبة للكلفة فقد أشارت المقابلات أنه يُطلب من السوريين والفلسطينيين دفع المبلغ كاملاً قبل المغادرة أو دفع جزء وإبقاء جزء مع أحد الأقارب في لبنان، ثم يتم دفع هذا الجزء الثاني للمهزّب إذا تم وصول المهاجر إلى حيث تم الاتفاق عليه. وتُعتدّ خيارات الدفع حسب المهزّب وطريقة عمله. أما اللبنانيون ف لديهم هذه الخيارات السابقة بالإضافة إلى خيار آخر ألا وهو إمكانية رهن أحد أملاكهم في لبنان، إما بيت أو سيارة أو متجر (مقابلة). ويمكن أن يدير العملية مهزّب واحد أو في بعض الحالات شبكة من المهزّبين⁷⁵.

⁷² المديرية العامة للهجرة والشؤون الداخلية بالمفوضية الأوروبية، 2016.

⁷² الجزيرة، 2022.
⁷³ L'Orient Today، 2023.

⁷⁴ المديرية العامة للهجرة والشؤون الداخلية بالمفوضية الأوروبية، 2016.

من خلال المؤسسات الرسمية، وبشكل أكبر بكثير، لمحدودية قدرات الأفراد على التهريب عبر الحدود، كما أوضحنا. ويُظهر التسلسل الزمني لعمليات التهريب أيضاً تأثره بالتغيرات والأحداث السياسية والاقتصادية في البلدين بشكل كبير.

وأخيراً، فإن التهريب لا يمكن علاجه إلا انطلاقاً من نظرة رسمية واقعية من قبل الدولتين، سوريا ولبنان، وعبر التعاون والتنسيق بينهما. أولاً بتسهيل عمليات الاستيراد والتصدير على أسس احتياجات كلاً من الدولتين، وبناء نظرة تنمية اقتصادية مشتركة تحرص على عدم وجود فروقات أسعار كبيرة لأكثر المنتجات تهريباً والخدمات الأكثر طلباً، وتخصيص خطط تنمية مشتركة للمناطق الحدودية تقلل من الاحتياج للتهريب كمصدر رزق أساسي.

تعاني سوريا من آثار حرب طويلة الأمد والعقوبات الاقتصادية، ويعاني لبنان من أزمة مالية واقتصادية منذ خمس سنوات دون حل. ولا أفق للبلدين دون ترسيخ التعاون بينهما.

المراجع

رواتب هزيلة وقطاعات حيوية تعاني.. موجة استقالات غير مسبوقه
في مناطق النظام السوري | سياسة | الجزيرة نت
(aljazeera.net)

الجزيرة، 2012، الفرقة الرابعة في الجيش السوري
الفرقة الرابعة في الجيش السوري | أخبار | الجزيرة نت
(aljazeera.net)

الجمهورية | الجيش أغلق المعبر الترابي عند جسر حكر الضاهري
فوق النهر الكبير، 2014

[الجمهورية | الجيش أغلق المعبر الترابي عند جسر حكر الضاهري](http://aljourhouria.com)
(aljourhouria.com) فوق النهر الكبير

الجيش اللبناني، تحقيق عسكري، جان دارك أبي ياغي، 2019
الحدود البرية مضبوطة بنسبة 90% والعمل مستمر وصولاً إلى
100% | الموقع الرسمي للجيش اللبناني (lebarmy.gov.lb)

الجيش اللبناني، السوق العربية المشتركة حلقة في إطار التعاون
الاقتصادي العرب، عبدالأمير دكروب، 2002
السوق العربية المشتركة حلقة في إطار التعاون الاقتصادي العربي
| الموقع الرسمي للجيش اللبناني (lebarmy.gov.lb)

الدولية للمعلومات، قرية حكر الضاهري في عكار.

الشهرية | الدولية للمعلومات | حكر الضاهري : جسر يفصلها عن
سورية (monthlymagazine.com)

الديار، جهاد نافع، 2022، أين نواب عكار... الإهمال والتهميش
يترتبان على صدور الأهالي!!!

أين نواب عكار... الإهمال والتهميش يترتبان على صدور
الأهالي!!! - جهاد نافع | الديار (addiyar.com)

زمان الوصل، افتتاح معبر جسر قمار البقية بين سورية ولبنان،
2009
<https://www.zamanalwsl.net/news/article/10734>

سكاي نيوز العربية، 2022، السلطات اللبنانية تمنع تصدير القمح
لبنان.. السلطات تمنع تصدير القمح إلى خارج البلاد
#مراسلو سكاي | #سكاي لبنان - YouTube

السورية، خمسة معابر برية تربط بين سورية ولبنان.. تعرف إليها،
2020

خمس معابر برية تربط بين سورية ولبنان.. تعرف إليها
(alsouria.net)

ابراهيم جوهري: التأثير الاجتماعي الاقتصادي لتنفيذ القانون رقم
522 القاضي بتحويل عكار إلى محافظة؛
<https://www.researchgate.net>

الأخبار، المعبر السادس بين لبنان وسورية... إبراهيم: بافتتاح
«مطربا» نقل 18 معبراً غير شرعي، 2022
<https://al-akhbar.com/Politics/336709>

الأخبار، 2021، الجيش ينشر إرشادات لتفادي مخاطر انجراف
الأنغام من الحدود السورية
<https://al-akhbar.com/Community/305912>

الأخبار، معبر قمار: بعد العسر جسر؟، 2009
https://al-akhbar.com/Archive_Research/131310

أخبار النفط والغاز السوري: سورية تواجه أزمة في دعم الوقود مع
تراجع صادراتها النفطية، 5 آذار 2008
<https://www.syria-oil.com/125/>

إندبننت عربية، 2023، سوسن مهنا، عصابات وأجهزة أمنية
ترعى تهريب السوريين إلى لبنان

عصابات وأجهزة أمنية ترعى تهريب السوريين إلى لبنان |
إندبننت عربية (independentarabia.com)

إندبننت عربية، 2021، اللبناني في مواجهة المولدات الخاصة:
القاتورة العالية أو العتمة.

لبناني في مواجهة المولدات الخاصة: القاتورة العالية أو العتمة |
إندبننت عربية (independentarabia.com)

برنامج مسارات الشرق الأوسط، 2022، التهريب بين سورية
ولبنان، ومن سورية إلى الأردن: تطوره وشبكاته المحلية
<https://medirections.com/index.php/2019-05-07-15-50-27/wartime/2022-05-13-11-33-53>

البنك الدولي، 2015، لبنان - تشجيع إنهاء الفقر وتعزيز الرخاء
المشارك
<https://documents1.worldbank.org/curated/fr/430731482934639266/pdf/97498-SCD-ARABIC-Lebanon-P151430-Box396341B-PUBLIC.pdf>

الجزيرة، 2022، رواتب هزيلة وقطاعات حيوية تعاني.. موجة
استقالات غير مسبوقه في مناطق النظام السوري

المدن - عكار: التهريب هو السياسة.. والمستقبل ربح العونيين
نكابة بالقوات ((almodon.com))

المدن، 2019، صفاء عباد، الجنسية للمتزوجة بلبناني: هيئات
الوضوح وتنفيذ القانون.

المدن - الجنسية للمتزوجة بلبناني: هيئات الوضوح وتنفيذ
القانون ((almodon.com))

مكتبة مدرسة الفقاهة، قرية حكر الضاهري الموقع والخصائص.
<https://ar.lib.eshia.ir/86927/10/67>

المفكرة القانونية: الجيش على الحدود: "تحديات كبيرة في مواجهة
تهريب الأشخاص"، 2023/10/7، <https://legal-agenda.com/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%8A%D8%B4-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%88%D8%AF-%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D9%83%D8%A8%D9%8A%D8%B1%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D9%85%D9%88%D8%A7%D8%AC>

المفكرة القانونية: سعدى علوه: "البؤساء" وتجارة الحدود: أو
تسليح البشر في أشنع أشكاله؛ 2023/10/6، <https://legal-agenda.com/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%A4%D8%B3%D8%A7%D8%A1-%D9%88%D8%AA%D8%AC%D9%91%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%88%D8%AF-%D8%A3%D9%88-%D8%AA%D8%B3%D9%84%D9%8A%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B4%D8%B1>

المفكرة القانونية: سعدى علوه: جرد عشيرة جعفر: حين يُبقى
التهريب المواطنين في أرضهم؛ 2021/8/26، <https://legal-agenda.com/%d8%ac%d8%b1%d8%af-%d8%b9%d8%b4%d9%8a%d8%b1%d8%a9-%d8%ac%d8%b9%d9%81%d8%b1-%d8%ad%d9%8a%d9%86-%d9%8a%d9%8f%d8%a8%d9%82%d9%8a-%d8%a7%d9%84%d8%aa%d9%87%d8%b1%d9%8a%d8%a8-%d8%a7%d9%84%d9%85%d9%88%d8%a7>

المفكرة القانونية: حنان حمدان: إحصاءات قوى الأمن عن مهربي
الأدوية لا تشمل الحدود البرية: أزمة الدواء بين التهريب والترشيد

صوت بيروت انترناشونال، 2020، تأثير التهريب على الإنتاج
المحلي وتهديده بـ"الموت الاقتصادي"... بالأرقام

تأثير التهريب على الإنتاج المحلي وتهديده بـ"الموت الاقتصادي"...
بالأرقام ((sawtbeirut.com))

العربي الجديد، افتتاح سادس معبر حدودي بين سورية ولبنان،
2022

افتتاح سادس معبر حدودي بين سورية ولبنان
((alaraby.co.uk))

العربي الجديد، 2022، فشل محاولات وقف تهريب القمح من
مناطق المعارضة السورية

فشل محاولات وقف تهريب القمح من مناطق المعارضة السورية
((alaraby.co.uk))

العربية.نت، جوني فخري، 2023، 124 معبرا غير شرعي بين
لبنان وسورية.. مافيات وتهريب

124 معبرا غير شرعي بين لبنان وسورية.. مافيات وتهريب
((alarabiya.net))

عنب بلدي، عدد 586، 2023
<https://www.enabbaladi.net/archives/641889>

عنب بلدي، 2023/05، التهريب عبر معابر حمص - لبنان ينشط
باتجاه معاكس

<https://www.enabbaladi.net/archives/641889>

عنب بلدي، 2023/01، بتكليف رسمي.. "الفرقة الرابعة" تتمدد
في معابر حمص و"نصيب"

<https://www.enabbaladi.net/archives/623410>

قاسيون: مَنْ يدعم مَنْ.. المواطن أم الحكومة؟!، 6 آيار 2008
<https://kassioun.org/economic/item/48363-22108>

لبنان 24، 2017، الألغام تطوق لبنان.. الخطر على الحدود مع
سورية

الألغام تطوق لبنان.. الخطر على الحدود مع سورية!
((lebanon24.com))

المدن، جنى الذهبي، 2023، سماسرة في لبنان وسورية
"يتاجرون" باللاجئين على الحدود البرية

المدن - سماسرة في لبنان وسورية "يتاجرون" باللاجئين على
الحدود البرية ((almodon.com))

المدن، جنى الذهبي، 2022، عكار: التهريب هو السياسة..
والمستقبل ربح العونيين نكابة بالقوات

النهار، 2020، المعابر غير الشرعية ومكافحة التهريب ومقترحات للضبط: الحدود مع سورية 357 كيلومتراً و 36 نقطة خلفية وإقفال 90%

المعابر غير الشرعية ومكافحة التهريب ومقترحات للضبط: الحدود مع سورية 357 كيلومتراً و 36 نقطة خلفية وإقفال 90% | النهار (annahar.com))

هيومن رايتس ووتش، 2012، سورية: الجيش يزرع الألغام مُحَرِّمة <https://www.hrw.org/ar/news/2012/03/13/245559>

الوكالة الوطنية للإعلام، 2023، غزو المنتوجات غير اللبنانية الاسواق عبر الحدود السورية

الوكالة الوطنية للإعلام - غزو المنتوجات غير اللبنانية الاسواق عبر الحدود السورية بكميات كبيرة والمزارع اللبناني ينادي الدولة بفتح الاسواق الخارجية ودعم القطاع ((nna-leb.gov.lb))

LBC، 2023، تقرير لإدمون ساسين، موجات الهجرة غير الشرعية من سورية الى لبنان... ما هي أسماء المعابر التي يتم التهريب عبرها؟

موجات الهجرة غير الشرعية من سورية الى لبنان... ما هي أسماء المعابر التي يتم التهريب عبرها؟ - Lebanon News (lbcgroup.tv)r

كمال ديب، الحرب السورية (تاريخ سورية المعاصر 1970-2015

بيانات - مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين <https://data.unhcr.org/en/situations/syria/locati on/71>

درج ميديا، انفجار التليل، 2023 <https://daraj.media/110906/>

Amreesha Jagarnathsingh, 2019, Lebanon's Border Regime: Fluid Rigidity, Foreign Interference, and Hybrid Security Assemblages (<https://www.diva-portal.org/smash/get/diva2:1337324/FULLTEXT01.pdf>)

European Commission, DG Migration & Home Affairs, 2016, Study on smuggling of migrants: Characteristics, responses and cooperation with third countries Case Study 1: Syria/Lebanon-Egypt-Italy https://www.researchgate.net/publication/307992261_Study_on_smuggling_of_migrants_Char

والتخزين؛ 2020/12/23، <https://legal-agenda.com/%d8%a5%d8%ad%d8%b5%d8%a7%d8%a1%d8%a7%d8%aa-7%d8%82%d9%88%d9%89-%d8%a7%d9%84%d8%a3%d9%85%d9%86-%d8%b9%d9%86-%d9%85%d9%87%d8%b1%d9%91%d8%a8%d9%8a-%d8%a7%d9%84%d8%a3%d8%af%d9%88%d9%8a%d8%a9-%d9%84%d8%a7>

منتدى الاقتصاديين العرب: الاقتصاد السياسي والتداعيات الاجتماعية في ثلاث مدن سورية: طرطوس والقامشلي وأعزاز؛ كانون الثاني 2021، <https://www.economistes-arabes.org/fr/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AF-%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7/>

منشور تهريب البنزين فيسبوك، 2021 <https://www.facebook.com/watch/?v=1216441922149381>

منظمة الصحة العالمية، 2013، نقص الأدوية المنقذة للحياة في سورية يؤثر قلقاً كبيراً لدى منظمة الصحة العالمية <https://www.emro.who.int/ar/media/news/short-ages-in-life-saving-medicines-syria.html>

نداء الوطن، لوسي بارسخيان، 2023، وادي خالد: من "خط البترول" إلى "الواويات"... والصهاريج المحشوة بشراً

وادي خالد: من "خط البترول" إلى "الواويات"... والصهاريج المحشوة بشراً - لوسي بارسخيان | نداء الوطن (nidaalwatan.com))

نداء الوطن، 2021، احباط تهريب كميات من الغاز والمازوت المدعوم في عكار

احباط تهريب كميات من الغاز والمازوت المدعوم في عكار | نداء الوطن ((nidaalwatan.com))

النهار، 2023، اساليب ابتكارية لتهريب الاشخاص

بالصور - أساليب جديدة لعمليات التهريب عبر الحدود في وادي خالد | النهار (annahar.com))

SIMONE THOLENS, 2017, Border management in an era of 'statebuilding lite': security assistance and Lebanon's hybrid sovereignty (https://www.chathamhouse.org/sites/default/files/publications/ia/INTA93_4_06_Tholens.pdf)

World Bank: Economic Monitor Syria. The Economic Aftershocks of Large Earthquakes. Summer 2023 (<https://documents.worldbank.org/en/publication/document/099540309012311026/0a8823acd034ac04efd0abc20842c479023f4>)

XCEPT, Dec 2022, The Motives and Methods of People Smuggling Between Syria and Lebanon (<https://www.xcept-research.org/the-motives-and-methods-of-people-smuggling-between-syria-and-lebanon/>)

European Commission, DG Migration & Home Affairs, 2015, Study on smuggling of migrants, Case Study 1: Syria/Lebanon – Egypt – Italy. (https://www.emntalyncp.it/wp-content/uploads/2018/02/020_case_study_1_syria-lebanon_-_egypt_-_italy.pdf)

L'Orient Today, 2023, Sea migration attempts on the rise this summer: UNHCR. (<https://today.lorientlejour.com/article/1342956/sea-migration-attempts-on-the-rise-this-summer-unhcr.html>)

acteristics responses and cooperation with third countries Case Study 1 SyriaLebanon-Egypt-Italy

Kaufman, 2004, Understanding the Shebaa Farms Dispute: Roots of the Anomaly and Prospects for Resolution (<https://pij.org/articles/9/understanding-the-shebaa-farms-dispute-roots-of-the-anomaly-and-prospects-for-resolution>)

Jamil Mouawad, 2018, Lebanon's border areas in light of the Syrian war: New actors, old marginalization (<https://core.ac.uk/download/pdf/156757575.pdf>)

Map Action X ACAPS, Cross-border movement of goods (Syria Needs Analysis Project), 2013

https://www.acaps.org/fileadmin/Data_Product/Main_media/19_cross_border_movement_of_goods.pdf

BBC, Syria: Mapping the conflict, 2014 (<https://www.bbc.com/news/world-middle-east-22798391>)

OCHA map, Research gate, 2015. (https://www.researchgate.net/figure/Situation-of-official-border-crossing-points-between-Syria-and-neighboring-countries_fig2_307992261)

Raymond Fisman and Edward Miguel, 2011, Book Review: Economic Gangsters: Corruption, Violence, and the Poverty of Nations. (https://www.academia.edu/26710068/Economic_Gangsters_Corruption_Violence_and_the_Poverty_of_Nations_by_Raymond_Fisman_and_Edward_Miguel)

Royce Huston & Taylor Long, 2011, Features of Smuggling in Wadi Khaled. (<https://www.tandfonline.com/doi/abs/10.1080/14678802.2011.614126>)